كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر

لعبد اللطيف البغدادي

(طبعة اولى)
بمطبعة وادي النيل سنة ١٢٨٦

www.marefa.org

marefa.org

موسوعة المعرفة

المعرفة مشروع علمي ثقافي يهدف لجمع المحتوى العربي والإضافة إليه، لإنشاء موسوعة دقيقة، متكاملة، متنوعة، مفتوحة، محايدة ومجانية، يستطيع الجميع المساهمة في تحريرها، بالكتابة أو بالاقتباس من مصادر مرخصة بالنقل. بدأت المعرفة في 16 فبراير 2007 ويوجد بها الآن 35,587 مقال و 2,409,583 صفحة مخطوط فيها.

خلافاً للغات العالم الكبرى الأخرى، تفتقر الثقافة العربية إلى المحتوى الإلكتروني، ويفاقم من ذلك الوضع قصر عمر المواقع الإلكترونية العربية، مما يجعل محتواها الإلكتروني مملوكاً لكيان اعتباري قد زال من الوجود، ولا يستطيع حتى كاتب المحتوى نشره في مكان آخر.

لذا فندعو المهتمين إلى المساهمة في جمع تراثنا في موسوعة المعرفة الحرة والحصول على تصاريح النقل من مختلف المصادر وتوعية أصحاب تلك المصادر ببدائل علامة حفظ الملكية التي تتيح نشر المعرفة. **ادع أصدقاءك للكتابة في أي موضوع معرفي يهمهم.**

مشروع معرفة المخطوطات

تشهد الثقافة العربية تراجعاً على كافة الأصعدة. ونتيجة لذلك تخلى العديد من الشعوب عن استخدام الأبجدية العربية، مما أدى إلى سقوط مراكز إشعاع الثقافة العربية في تلك الشعوب في غياهب النسيان. فنرى حواضر حيدر أباد وتنبكتو وزنجبار وسمرقند ملأى بمئات الآلاف من المخطوطات العربية في حالة يرثى لها من الإهمال. ولقد شكلت التقنية الحديثة من الماسحات الضوئية والإنترنت بارقة أمل. إذ أصبح بإمكان المتطوعين، حيثما كانوا، المشاركة في تحويل تلك المخطوطات الممسوحة إلى نصوص رقمية يعم نفعها الجميع.

وتفخر موسوعة "المعرفة" بحصولها على 25,000 مخطوط تحتوي على 2,409,583 صفحة من المخطوطات من حكومة الهند، وهي تمثل 5% من المخطوطات باللغة العربية التي يعملون على مسحها ضوئياً. قائمة بروكلمان لأهم مصادر الكتب والمخطوطات العربية تضم 16 مكتبة بالهند بين أهم 168 موقع بالعالم. أمدتنا الهند كذلك بملايين الصفحات بالفارسية والتركية (بحروف عربية). وبعد أن كانت الهند أكبر مشتر وقارئ للأدب العربي أصبحت اليوم لا تجد بين أبنائها من هو قادر حتى على قراءة عناوين تلك المخطوطات. الفرصة سانحة لإثراء تراثنا ودعم أواصر التعاون الإنساني مع حضارة الهند الصديقة. المشروع ذاته يجري تكراره مع تجمعات Corpora المخطوطات العربية الكبرى في الصين وتنبكتو (مالي).

هذه قائمة جزئية للمخطوطات التي لدينا. إذا كنت تريد أن نعجل بنشر أي منها فأخبرنا بالضغط هنا.

خطوات المشروع:

1. الحصول على صور المسح الضوئي للمخطوطات.
2. نشر المخطوط إلكترونياً مقروناً بمقالات من موسوعة المعرفة متعلقة بالمخطوط والكاتب. ويمكن للجميع تحميل المخطوط. قائمة المخطوطات الجاهزة للتحميل.
3. تدوين المخطوطات, أي تحويل الصورة إلى نص حرفي يمكن التعامل التحريري معه، وذلك للمخطوطات التي لا يوجد لها نصوص. وهذا عن طريق مشروع معرفة المخطوطات الذي يضم برنامج تدوين المخطوطات عن بعد Distributed Proofreading. وتلك الخطوة تتطلب جهداً فائقاً ندعو القراء للمشاركة فيه (بالتسجيل هنا).
4. تقديم نص المخطوط إلى مشروع گوتنبرگ Gutenberg Project لنشر كتب التراث العالمي. وقد انضمت موسوعة المعرفة **لمشروع گوتنبرگ** وهي بذلك المشارك العربي الوحيد في هذا المشروع العالمي.

مع تحيات مدير المشروع

د. نايل الشافعي

(ترجمة)

الشيخ الطبيب المشهور ابن جلجل من كتاب مناقب الاطباء لابن أبي أصيبعة المذ

(ملحقة)

بكتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر

للشيخ عبد اللطيف البغدادي رحمه الله تعالى

ابن جلجل هو أبو داود سليمان بن حسان يعرف بابن جلجل كان طبيبا فاضلا خبيرا بالعلاجات جيد التصرف في صناعة الطب وكان في أيام هشام المؤيد بالله خدمه بالطب وله بصيرة واستقراء بقوى الادوية المفردة وقد فسر أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس العين زربي ورفع عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها وهو يقول في أول كتابه هذا ان كتاب ديسقوريدس ترجم بمدينة السلام في الدولة العباسية في أيام جعفر المتوكل فكان المترجم له اصطوفان من تلك الاسماء اليونانية في وقته فما عرف له اسما في اللسان العربي فسره بالعربية وما لم يعلم له في اللسان العربي اسما تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالا منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي اذا الاسمية لا تكون الا بالتواطئ من أهل كل بلد على أعيان الادوية بما رأى وان يسموا ذلك أما باشتقاق وأما من ذلك بتواطئهم على التسمية فاتكل اصطوفان على شخوص يأتون بعده ممن قد يعرف أعيان الادوية التي لم يعرف هو لها اسما في وقته ويسمها على قدر ما سمع في ذلك الوقت فيخرج الى المعرفة قال ابن جلجل وورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطوفان منه ما عرف له أسماء بالعربية ومنه ما لم يعرف له أسما فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق والاندلس في أيام الناصر عبد الرحمن بن محمد وهو يومئذ احب الاندلس فكاتبه ارمانيوس الملك ملك القسطنطينية أحسبه في سنة سبع وثلاثين ومائتين وهاداه بهدايا ما قدر منهم وكان في جملة هديته كتاب ديسقوريدس مصورا الحشائش بالتصوير الرومي العجيب وكان الكتاب مكتوبا بالاغريقي الذي هو اليوناني وبعث معه كتاب هرقوش صاحب القصص وهو تاريخ للروم يحتوي فيه أخبار الدهور وقصص

www.marefa.org

الملوك الاولى وفوائد عظيمة وكتب ارمانيوس في كتابه الى الناصر ان كتاب
ديوسقوريدس لا تجتنى فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني و يعرف
أشخاص تلك الادوية فان كان في بلدك من يحسن ذلك فزت أيها الملك بفائدة الكتاب
وأما كتاب هرشيوش فعندك في بلدك من اللاطينيين من يقرؤه باللسان اللاطيني وان
كشفتهم عليه نقلوه لك من اللاطيني الى اللسان العربي قال ابن جلجل ولم يكن يومئذ
بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ الاغريقي الذي هو اليوناني القديم فبقي كتاب
ديسقوريدس في خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الاغريقي ولم يترجم الى اللسان
العربي و بقي الكتاب بالاندلس والذي بين أيدي الناس ترجمة اصطفان الوارد
من مدينة السلام بغداد فلما جاوب الناصر ارمنيوس الملك سأله ان يبعث اليه برجل
يتكلم بالاغريقي واللاطيني ليعلم له عيبا يكونون مترجمين فبعث اليه ارمانيوس
الملك براهب كان يسمى نقولا فوصل الى قرطبة سنة أربعين وثلاثمائة وكان يومئذ
بقرطبة من الاطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من أسماء
عقاقير ديسقوريدس الى العربية وكان أبحثهم وأحرصهم الى ذلك من جهة التقرب
الى الملك عبد الرحمن الناصر حسداي بن بشروط الاسرائيلي وكان نقولا الراهب يندبه
احظا الناس وأخصهم به وفسر من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ما كان مجهولا
وهو أول من عمل بقرطبة الترياق على تصحيح التجاربة التي فيه وكان في ذلك الوقت من
الاطباء الباحثين عن أسماء عقاقير الكتاب وتعيين أشخاصه محمد المعروف بالشجار
ورجل كان يعرف بالبسباسي وأبو عثمان الجزار الملقب بالبابسي ومحمد بن سعيد
الطبيب وعبد الرحمن بن اسحاق بن هيثم وأبو عبد الله الصقلي وكان يتكلم باليونانية
و يعرف أشخاص الادوية قال ابن جلجل وكان هؤلاء النفر كلهم في زمان واحد مع نقولا
الراهب أدركتهم وأدركت نقولا الراهب في أيام المستنصر وصحبتهم في أيام المستنصر
الحكم وفي صدر دولته مات نقولا الراهب فصح بحث هؤلاء النفر الباحثين عن أسماء
عقاقير كتاب ديسقوريدس بتصحيح الوقوف على أشخاصها المدينة قرطبة خاصة بناحية
الاندلس ما ازال الشك فيها عن القلوب وأوجب المعرفة بها والوقوف على أشخاصها
وتصحيح النطق باسمائها بلا تحريف الا القليل منها الذي لا بال به ولا خطر له وذلك يكون

في

www.marefa.org

فيمثل عشرة أدوية قال وكان لي في معرفة تصحيح هيولى الطب الذي هو أصل الادوية
الاركبة حرص شديد وبحث عظيم وهيئني الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتي
في احياء ما خفت ان يدرس وتذهب منفعته لابدان الناس فالله قد خلق الشفا وثبته
فيما انبته الارض واستقر عليها من الحيوان المشاء والسائح في الماء والمنساب وما يكون
تحت الارض في جوفها من المعدنية كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق ولابن جلجل من
الكتب كتاب تفسير أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ألفه في شهر ربيع
الآخر سنة اثنين وسبعين وثلثمائة بمدينة قرطبة في دولة هشام بن الحكم المؤيد بالله
ومقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب
وينتفع به ومما لا يستعمل لكي لا يغفل ذكره قال ابن جلجل ان ديسقوريدس أغفل
ذلك ولم يذكره أما لانه لم يره ولم يشاهده عيانا وأما لان ذلك كان غير مستعمل في دهره
وأبناء جنسه ورسالة التبين فيما غلط فيه بعض المتطببين وكتاب يتضمن ذكر شئ
من أخبار الاطباء والفلاسفة في أيام المؤيد بالله

تم

www.marefa.org

﴿فهرست الفصول والمواد﴾

الموجودة فى كتاب الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر لعبد اللطيف البغدادى

صحيفه

٠٠ ترجمة الشيخ عبد اللطيف البغدادى من كتاب مناقب الاطباء لموفق الدين ابى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجى المعروف بابن أبى اصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ من الهجرة

١ خطبة الافادة والاعتبار

المقالة الاولى (وهى ستة فصول)

٢ الفصل الاول فى خواص مصر العامة لها

٧ الفصل الثانى فيما تختص به من النبات

١٧ الفصل الثالث فيما تختص به من الحيوان

٢٣ الفصل الرابع فى اقتصاص ما شوهد من آثارها القديمة

٣٨ الفصل الخامس فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن

٤١ الفصل السادس فى غرائب أطعمتها

المقالة الثانية (وهى ثلاثة فصول)

٤٤ الفصل الاول فى النيل وكيفية زيادته واعطاء علل ذلك وقوانينه

٤٩ الفصل الثانى فى حوادث سنة ٥٩٧ (خمسمائة سبعة وتسعين)

٥٦ الفصل الثالث فى حوادث سنة ٥٩٨ (خمسمائة ثمانية وتسعين)

١ ترجمة الشيخ الطبيب المشهور بابن جلجل ملحقة بكتاب الافادة والاعتبار

www.marefa.org

كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر

لعبد اللطيف البغدادي

(طبعة اولى)
بمطبعة وادي النيل سنة ١٢٨٦

www.marefa.org

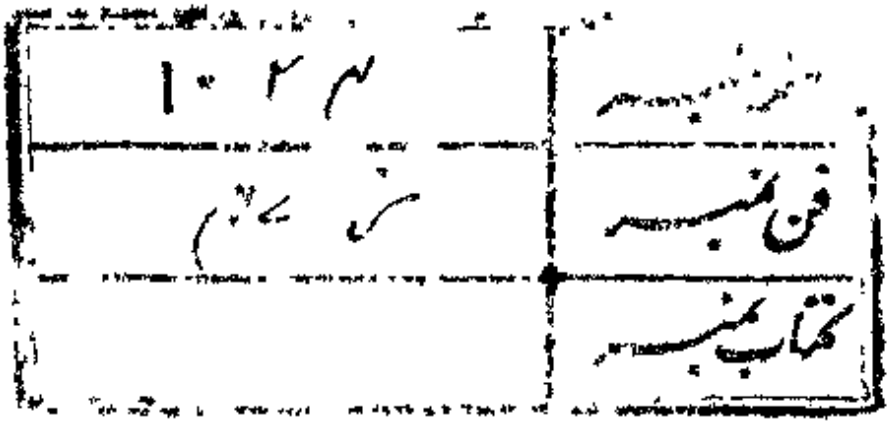

www.marefa.org

(ترجمة)

الشيخ عبد اللطيف البغدادي من كتاب مناقب الاطباء لموفق الدين
ابن القاسم ابن خليفة الخزرجي المعروف بابن أبي اصيبعة المتوفى

(موفق الدين عبد اللطيف البغدادي)

هو الشيخ الامام الفاضل موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعيد ويعرف بابن اللبادموصلي الاصل بغدادي المولد كان مشهورا بالعلوم متقدما بالفضائل مايح العبارة كثير التصنيف وكان متميزا في النحو واللغة العربية عارفا بعلم الكلام والطب وكان قد اعتنى كثيرا بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها وكان يتردد اليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من الاطباء للقراءة عليه وكان والده قد أشغله باستماع الحديث في صباه من جماعة منهم أبو الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن الطبي وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشتغلا بعلم الحديث بارعا في علوم القرآن والقراآت مجيدا في المذهب والخلاف والاصولين وكان متطرفا من العلوم العقلية وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين فقيها شيخا وكان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف كثير الاشتغال لايخلي وقتا من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جدا بحيث انه كتب من مصنفاته نسخا متعددة وكذلك أيضا كتب كتبا كثيرة من تصانيف القدماء وكان صديقا لجدي وبينهما صحبة اكيدة بالديار المصرية لما كانا بها وكان أبي وعمي يشتغلان عليه بعلم الادب واشتغل عليه عمي أيضا بكتب ارسطوطاليس وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها والفهم لمعانيها واتى الى دمشق من الديار المصرية واقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بعلمه ورأيته لما كان مقيما بدمشق في آخر مرة اتى اليها وهو شيخ نحيف الجسم ربع القامة حسن الكلام جيد العبارة وكانت مسطرته ابلغ من لفظه وكان رحمه الله ربما يجاوز في الكلام الكثرة مايرى من نفسه وكان يستنقص الفضلاء الذين في زمانه وكثيرا من المتقدمين وكان وقوعه كثيرا جدا في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصا الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه

www.marefa.org

ونقلت من خطه في سيرته التي ألفها ما هذا مثاله قال (اني ولدت ببدار جدي في دربه
الفالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتربيت في حجر الشيخ ابي النجيب لا اعرف
اللعب واللهو وا كثر زماني مصروف في سماع الحديث وأخذت لي اجازات من شيوخ
ببغداد وخراسان والشام ومصر وقال لي والدي يوما قد اسمعتك جميع حوالي بغداد
والحقتك في الرواية بالشيوخ المسان وكنت في اثناء ذلك اتعلم الخط واتحفظ القرآن
والفصيح والمقامات وديوان المتنبي ونحو ذلك ومختصرات الفقه ومختصرات النحو فلما
ترعرعت حملني والدي الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري وكان يومئذ شيخ بغداد وله
بوالدي صحبة قديمة ايام التفقه بالنظامية فقرأت عليه خطبة الفصيح فهذر كلاما كثيرا
متتابعا لم افهم منه شيئا لكن التلاميذ حوله يعجبون منه ثم قال انا اجفوعن تعليم
الصبيان احمله الى تلميذي الوجيه الواسطي يقرأ عليه فاذا توسطت حاله قرأ علي وكان
الوجيه عند بعض أولاد رئيس الرؤساء وكان رجلا أعمى من أهل الثروة والمروءة
فأخذني بكلتي يديه وجعل يعلمني من أول النهار الى آخره بوجود كثيرة من التلطف
فكنت أحضر حلقته بمسجد الغربية ويجعل جميع المشروحات لي ويخاطبني بها وفي آخر
الامر اقرأ درسي ويخصني بشرحه ثم يخرج من المسجد ويذاكرني في الطريق فاذا بلغنا
منزله أخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسه فاحفظه واحفظ معه ثم يذهب الى الشيخ
كمال الدين فيقرأ درسه ويشرحه وأنا أسمع وتخرجت الى أن صرت أسبقه في الحفظ
والفهم وأصرف أكثر الليل في الحفظ والتكرار وأعنا على ذلك بهمة كالمرحفظي
كثير وجاد وفهمي قوي واستنار وذهني احتد واستقام وأنا الزم الشيخ وشيوخ الشيخ
وأول ما ابتدأت حفظت اللمع في ثمانية أشهر أسمع كل يوم شرح أكثرها مما يقرأه
غيري وانقلب الى بيتي وأطالع شرح الثمانيني وشرح الشريف عمر بن حمزة وشرح
ابن برهان الدين وكلما أجد من شروحها وأشرحها التلاميذ يختصون بي الى أن صرت
انكلم على كل باب كراريس ولا يتقدمني عندي ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة
حفظا متقنا أما النصف الاول ففي شهور وأما تقويم اللسان ففي أربعة عشر يوما لانه
كان أربعة عشر كراسا ثم حفظت مشكل القرآن له وغريب القرآن له وكل ذلك في مدة
يسيرة ثم انتقلت الى الايضاح لابي علي الفارسي فحفظته في شهور كثيرة ولازمت

مطالعة

www.marefa.org

مطالعة شروحه وتتبعته التتبع التام حتى تبحرت فيه وجمعت الشراح وأما التكملة فحفظتها في أيام يسيرة كل يوم كراسا وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب للمبرد وكتاب ابن درستويه وفي اثناء ذلك لا اغفل عن سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب قال وللشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفا أكثرها في النحو وبعضها في الفقه والاصولين وفي التصوف والزهد وأتيت على أكثر تصانيفه سماعا وقراءة وحفظا وشرع في تصنيفين كبيرين احدهما في اللغة والاخر في الفقه ولم يتفق له اتمامهما وحفظت عليه طائفة من كتاب سيبويه واكببت على المقتضب فاتممته وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحه للسيرافي ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخي كتبا كثيرة منها كتاب الاصول لابن السراج والنسخة في وقف ابن الخشاب برباط المأمونية وقرأت عليه الفرائض والعروض للكاتب التبريزي وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري وأما ابن الخشاب فسمعت بقراءته معاني الزجاج على الكاتبة شهدة بنت الابري وسمعت منه الحديث المسلسل وهو (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما) وقال أيضا موفق الدين البغدادي ان مشايخه الذين انتفع بهم كما زعم ولد امين الدولة بن التلميذ وبالغ في وصفه وكثر وهذا فلكثرة بغضه للعراقيين والا فولد امين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريبا منها وقال انه ورد الى بغداد رجل مغربي طويل في زي التصوف له ابهة وليس مقبول الصورة عليه مسحة الدين وهيئة الشياخة يعتقل بصورته من رآه قبل ان يخبره يعرف بابن تاقلي يزعم انه من أولاد المتلثمة خرج من المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن فلما استقر ببغداد اجتمع اليه جماعة من الاكابر والاعيان وحضره الرضي القزويني وشيخ الشيوخ ابن سكينة وكنت واحدا ممن حضره فاقرأني مقدمة حساب ومقدمة ابن باب شاذ في النحو وكان له طريق في التعليم عجيب ومن يحضره يظن انه متبحر وانما كان متطرفا لكنه كان قد امعن في كتب الكيميا والطلسمات وما يجري مجراها وأتى على كتب جابر باسرها وعلى كتب ابن وحشية وكان يجلب القلوب بصورته ومنطقه وأبهته خلا قلبي شوقا الى العلوم كلها واجتمع بالامام الناصر لدين الله وأعجبه ثم سافر وأقبلت على الاشتغال وشمرت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات

www.marefa.org

وأكببت على كتب الغزالي المقاصد والمعيار والميزان ومحك النظر ثم التفت الى كتب
ابن سينا صغارها وكبارها وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفا وبحثت فيه وحصلت كتاب
التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا وكتبت وحصلت كثيرا من كتب جابر بن حيان الصوفي
وابن وحشية وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب المحال والضلال الفارغة وأقوى
من أضلني ابن سينا بكتابه في الصنعة الذي تم به فلسفته التي لا تزداد بالتمام الا نقصانا قال
ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبق ببغداد من يأخذ قلبي ويملأ عيني
ويحل ما يشكل على دخلت الموصل فلم أجد فيها بغيتي لكن وجدت الكمال بن يونس
جيدا في الرياضيات والفقه متطرفا من باقي اجزاء الحكمة قد استغرق عقله ووقته حب
الكيميا وعملها حتى كان يستخف بكل ما عداها فاجتمع الى جماعة كثيرة وعرضت على
المناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها وأقمت بالموصل
سنة كاملة في اشتغال دائم متواصل ليلا ونهارا وزعم أهل الموصل انهم لم يروا من أحد
قبلي ما رأوا مني من سعة الحفظ وسرعة الخاطر وسكون الطائر وسمعت الناس
يهرجون في حديث الشهاب السهروردي المتفلسف ويعتقدون انه قد فاق الاولين
والآخرين وان تصانيفه فوق تصانيف القدماء فهممت لقصده ثم ادركني التوفيق
وطلبت من ابن يونس شيئا من تصانيفه وكان أيضا معتقدا فيها فوقعت على التلويحات
واللمحة والمعارج فصادفت فيها ما يدل على جهل أهل الزمان ووجدت هالبق كثيرة
لا ارتضيها هي خير من كلام هذا الانوك وفي اثناء كلامه يثبت حروفا مقطعة يوهم بها
امثاله انها أسرار الهية قال ولما دخلت دمشق وجدت فيها من أعيان بغداد والبلاد من
جمعهم الاحسان الصلاحي جمعا كثيرا منهم جمال الدين عبد اللطيف ولد الشيخ أبي
النجيب وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء وابن طلحة الكاتب وبيت ابن جهير وابن
العطار الوزير المقتول وابن هبيرة الوزير واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرى
بيننا مباحثات وكان شيخا بهاذيا كامثر يا له جانب من السلطان لكنه كان معجبا بنفسه
مؤذيا لجليسه وجرت بيننا مباحثات وأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة ثم
اني أهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له اكثر مما يتأذى الناس منه وعملت بدمشق
تصانيف جمة منها غريب الحديث الكبير جمعت فيه غريب ابي عبيد القاسم بن سلام

وغريب

www.marefa.org

وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي وكنت ابتدأت به في الموصل وعملت له مختصرا سميته المجرد وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراسا وكتاب الالف واللام وكتاب رد وكتابا في ذات والصفات الذاتية الجارية على السنة المتكلمين وقصدت بهذه المسئلة الرد على الكندي ووجدت بدمشق الشيخ عبد الله بن تائلي نازلا بالمأذنة الغربية وقد عكف عليه جماعة وتحزب الناس فيه حزبين له وعليه فكان الخطيب الدولعي عليه وكان من الاعيان له منزلة وناموس ثم خلط ابن تائلي على نفسه فاعان عدوه عليه وصار يتكلم في الكيميا والفلسفة وكثر التشنيع عليه واجتمعت به فصار يسألني عن اعمال اعتقدانها خسيسة نزرة فيعظمها ويحتفل بها ويكبتها مني وكاشفته فلم أجده كما كان في نفسي فساءني به وبطريقه ثم باحثته في العلوم فوجدت عنده منها اطرافا نزرة فقلت له يوما لو صرفت زمانك الذي ضيعته في طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية والعقلية كنت اليوم فريد عصرك مخدوما وطول عمرك وهذا هو الكيميا الا ما تطلبه ثم اعتبرت بحاله واتعظت بسوء مآله والسعيد من وعظ بغيره واقلعت ولكن لا كل الاقلاع ثم انه توجه الى صلاح الدين بظاهر عكة يشكو اليه الدولعي وعاد مريضا وحمل الى البيمارستان فمات به وأخذ كتبه لمعتمد شحنة دمشق وكان متيما بالصنعة ثم اني توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكة فاجتمعت بهاء الدين ابن شداد قاضي العسكر يومئذ وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل فانبسط الي وأقبل علي وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتابا الى ديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة وقال هذا كتاب الى بلدكم وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخا ضئيلا كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب الوان الحركات بقوة حرصه على اخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة اعضائه وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها) أين جواب اذا وأين جواب لو في قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء وقال لي ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت اريد مصر فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكة

www.marefa.org

وقتل المسلمين بها فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها فلما دخلت القاهرة جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك وكان شيخا جليل القدر نافذ الامر فانزلني دارا قد ازيحت علالها وجاءني بدنانير وغلة ثم مضى الى أرباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانب وكان كل عشرة ايام اونحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي واقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ رحمه الله أقري الناس وكان قصدي في مصر ثلاثة انفس ياسين السيمياوي والرئيس موسى ابن ميمون اليهودي وابو القاسم الشارعي وكلهم جاوروني اما ياسين فوجدته محاليا كذابا مشعبذا يشهد للشاقاني بالكيميا ويشهد له الشاقاني بالسيميا ويقول عنه انه يعمل أعمالا يعجز موسى ابن عمران عنها وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء وبأي مقدار شاء وباي سكة شاء وانه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيها واصحابه تحتها وكان ضعيف الحال وجاءني موسى فوجدته فاضلا في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة وخدم أرباب الدنيا وعمل كتاب الطب جمعه من الستة عشر لحالينوس ومن خمسة كتب أخرى وشرط ان لا يغير فيه حرفا الا ان يكون واو عطف أو فاء وصل وانما ينقل فصولا يختارها وعمل كتابا لليهود سماه كتاب الدلالة ولعن من يكتبه بغير القلم العبراني ووقفت عليه فوجدته كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والعقائد بما يظن انه يصلحها وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نير الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم وأخذت في اتمام كلامي فلما تصرم المجلس جاءني امام المسجد وقال أتعرف هذا الشيخ هذا أبو القاسم الشارعي فاعتنقته وقلت اياك أطلب فاخذته الى منزلي وأكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدته كما تشتهي الانفس وتلذ الاعين سيرته سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورته قد رضي من الدنيا ببرض لا يتعلق منها بشيء يشغله عن طلب الفضيلة ثم لازمني فوجدته قيما بكتب القدماء وكتب ابي نصر الفارابي ولم يكن لي اعتقاد في احد من هؤلاء لاني كنت اظن ان الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبه واذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن ويغلبني بقوة الحجة وفضل المحجة وانا الا تلين قناتي لغمزه ولا احيد عن جادة الهوى والتعصب برمزه فصار يحضرني شيئا بعد

شيء

www.marefa.org

شئ من كتب ابى نصر والاسكندر وثامسطيوس يؤنس بذلك نفارى ويلين عريكة شماسى حتى عطفت عليه اقدم رجلا واوخر اخرى وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فنادت الضرورة الى التوجه اليه فأخذت من كتب القدماء ما امكنني وتوجهت الى القدس فرأيت ملكا عظيما لا العين روعة والقلوب محبة قريبا بعيدا سهلا مجيبا واصحابه يتشبهون به يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى (ونزعنا ما فى قلوبهم من غل) واول ليلة حضرته وجدت مجلسا حفلا بأهل العلم يتذاكرون فى اصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ فى كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ويتفقه فى ذلك ويأتى بكل معنى بديع وكان مهتما فى بناء سور القدس وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ويتأسى به جميع الناس الفقراء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضى الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ويأتى داره ويتغدى الطعام ثم يستريح ويركب العصر ويرجع فى المشاعل ويصرف أكثر الليل فى تدبير ما يعمل نهارا وكتب لى صلاح الدين ثلاثين دينارا فى كل شهر على ديوان الجامع بدمشق وأطلق لى أولاده رواتب حتى تقرر لى فى كل شهر مائة دينار ورجعت الى دمشق وأكببت على الاشتغال وأقرى الناس فى الجامع وكلما امعنت فى كتب القدماء أزددت فيها رغبة وفى كتب ابن سينا زهادة وأطلعت على بطلان الكيميا وعرفت حقيقة الحال فى وضعها ومن وضعها وتكذب بها وما كان قصده فى ذلك وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين وتضاعف شكرى لله سبحانه على ذلك فان اكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيميا ثم ان صلاح الدين دخل دمشق وخرج يودع الحاج ثم رجع فلم نقصده من لا خبرة عنده فخارت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليه شبيها بما يجدونه على الانبياء وما رأيت ملكا حزن الناس بموته سواه لانه كان محبوبا يحبه البار والفاجر والمسلم والكافر ثم تفرق اولاده واصحابه اياديا سبا ومزقوا فى البلاد كل ممزق واكثرهم توجه الى مصر لحصنها وسعة صدر ملكها واقمت بدمشق وملكها الملك الافضل وهو اكبر الاولاد فى السن الى ان جاء الملك العزيز بعساكر مصر محاصرا اخاه بدمشق فلم ينل منه بغية ثم تأخر الى مرج الصفر بقوانيج عرض له فخرجت اليه بعد خلاصه منه فأذن لى بالرحيل معه واجرى على من بيت المال

www.marefa.org

كفايتي وزيادة واقمت معه والشيخ ابو القاسم يلازمني صباح مساء الى ان قضى نحبه ولما اشتد مرضه وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه وأشرت عليه بدواء فانشد

لا اذود الطير عن شجر ❀ قد بلوت المر من ثمره

ثم سألته عن المه فقال (ما الجرح بميت ايلام) وكانت سيرتي في هذه المدة ان أقرى الناس بالجامع الازهر من أول النهار الى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره وآخر النهار ارجع الى الجامع الازهر ويقرى قوم آخرون وفي الليل اشتغل مع نفسي ولم أزل على ذلك الى أن توفي الملك العزيز وكان شابا كريما شجاعا كثير الحياء لا يحسن قول لا وكان مع حداثة سنه وشرة شبابه كامل العقة عن الاموال والفروج أقول ثم ان الشيخ موفق الدين اقام بالقاهرة بعد ذلك مدة وله الرواتب والجرايات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين واتى الى مصر ذلك الغلا العظيم والموتان الذي لم يشاهد مثله والف الشيخ موفق الدين في ذلك كتابا ذكر فيه اشياء شاهدها او سمعها ممن عاينها تذهل العقل وسمى ذلك الكتاب كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب الديار المصرية واكثر الشام والشرق وتفرقت اولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الى القدس واقام بها مدة وكان يتردد الى الجامع الاقصى ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم وصنف هناك كتبا كثيرة ثم انه توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها ذلك في سنة اربع وستمائة وشرع في التدريس والاشتغال وكان بانيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرؤن اصنافا من العلوم وتميز في صناعة الطب بدمشق وصنف في هذا الفن كتبا كثيرة وعرف به واما قبل ذلك فانما كانت شهرته بعلم النحو واقام بدمشق مدة وانتفع الناس به ثم انه سافر الى حلب وقصد بلاد الروم واقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان وكان مكينا عنده عظيم المنزلة وله منه الجاه والمكانة الوافرة والاقتفادات الكثيرة وصنف باسمه عدة كتب وكان هذا الملك عالي الهمة كثير الحياء كريم النفس وقد اشتغل بشيء من العلوم ولم يزل في خدمته الى أن استولى على ملكه صاحب أرزن الروم وهو السلطان كيقباذ بن كيخسرو بن قلج

ارسلان

www.marefa.org

ارسلان ثم قبض على صاحب أرزنجان ولم يظهر له خبر قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف وتا كان فى سابع عشر ذى القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة توجهت الى أرزن الروم وفى حادى عشر صفر من سنة ست وعشرين رجعت الى أرزنجان من أرزن الروم وفى نصف ربيع الاول توجهت الى كماخ وفى جمادى الاولى توجهت منها الى دبركى وفى رجب توجهت منها الى ملطية وفى آخره شعبان توجهت الى حلب وصلينا صلاة عيد الفطر بالبهنسى ودخلنا حلب يوم الجمعة تاسع شوال ووجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها وامنها بحسن سيرة أتابك شهاب الدين واجمع الناس على محبته لعدالته فى رعيته أقول وأقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليه وكثرت تصانيفه وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم أتابك حلب جار حسن وهو متخل لتدريس صناعة الطب وغيرها ويتردد الى الجامع بحلب ليسمع الحديث ويقرى العربية وكان دائم الاشتغال ملازما للكتابة والتصنيف ولما أقام بحلب قصدت انى أتوجه اليه واجتمع به ولم يتفق ذلك وكانت كتبه ابدا تصل الينا ومراسلاته وبعث الى اشياء من تصانيفه بخطه وهذا نسخة كتاب كتبته اليه لما كان بحلب (المملوك يواصل بدعائه وثنائه وشكره وانتمائه الى عبودية المجلس السامى المولى السيد السند الاجل الكبير العالم الفاضل موفق الدين سيد العلماء فى الغابرين والحاضرين جامع العلوم المتفرقة فى العالمين ولى امير المؤمنين اوضح الله به سبل الهداية وانار ببقائه طرق الدراية وحقق بحقائق الفاظه صحيح الولاية ولا زالت سعادته دائمة البقا وسيادته ساعية الارتقا وتصانيفه فى الافاق قدوة العلماء وعمدة سائر الادباء والحكماء المملوك يجدد الخدمة ويهدى من السلام اطيبه ومن الشكر والثناء اعذبه وينهى ما يكابده من الم التطلع الى مشاهدة انوار شمسه المنيرة وما يعانيه من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرته الاثيرة وما تزايد من اقلق وتعاظم عند سماعه قرب المزار من الارق

وابرح ما يكون الشوق يوما ✻ اذا دنت الديار من الديار

ولولا امل قفول الركاب العالى ووصول الجناب الموفقى الجلالى لسارع المملوك الى الوصول ولبادر المبادرة بالمثول ولجاء الى شريف خدمته وفاز بالنظر الى بهى طلعته فيا سعادة من فاز بالنظر اليه ويا بشرى من مثل بين يديه وباسر ورمن

www.marefa.org

حظى بوجه اقباله عليه ومن ورد بحار فضله وتروى من غديرها واستضاء بشمس علومه فسرى فى ضيائها نسأل الله تعالى تقريب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسرتى الابصار والاسماع بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انه بعث الى ابى فى أول كتاب وهو يقول فيه عنى ولولد الولد اعز من الولد وهذا موفق الدين ولد الولد واعز الناس عندى ومازالت النجابة تتبين لى فيه من الصغر ووصف واثنى كثيرا وقال فيه ولو امكننى ان اتى اليه بالقصد ليشتغل على لفعلت وبالجملة انه كان عزمه ان يأتى دمشق ويقيم بها ثم خطر له انه قبل ذلك يحج ويجعل طريقه على بغداد وان يقدم بها الى الخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفه ولما وصل بغداد مرض فى اثناء ذلك وتوفى رحمه الله يوم الاحد ثانى عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ودفن بالوردية عند ابيه وذلك بعد ان خرج عن بغداد وبقى غائبا عنها خمسا واربعين سنة ثم ان الله تعالى ساقه اليها وقضى منيته بها

ومن كلام موفق الدين عبد اللطيف البغدادى مما نقلته من خطه قال ينبغى ان تحاسب نفسك كل ليلة اذا أويت الى منامك وتنظر ما اكتسبت فى يومك من حسنة فتشكر الله عليها وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها وترتب فى نفسك ما تعمله فى غدك من الحسنات وتسأل الله الاعانة على ذلك وقال اوصيك ان لا تأخذ العلوم من الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم وعليك بالاستاذين فى كل علم تطلب اكتسابه ولو كان الاستاذ ناقصا فخذ عنه ما عنده حتى تجد الكل منه وعليك بتعظيمه وترحيبه وان قدرت ان تفيده من دنياك فافعل والا فبلسانك وثنائك واذا قرأت كتابا فاحرص كل الحرص على ان تستظهره وتعلم معناه وتوهم ان الكتاب قد عدم وانك مستغن عنه لا تحزن لفقده واذا كنت مكبا على دراسة كتاب وتفهمه فاياك ان تشتغل باخر معه واصرف الزمن الذى تريد صرفه فى غيره اليه واياك ان تشتغل بعلمين دفعة واحدة وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله فاذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر ولا تظن انك اذا حصلت علما فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاته لينمى ولا ينقص ومراعاته تكون بالمذاكرة والتفكر واشتغال المبتدى بالتحفظ والتعلم ومباحثة الاقران واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف

واذا

www.marefa.org

واذا تصديت لتعليم علم أو للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم فان كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره فان استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء اقسامه كمن يستعين بلغة في لغة أخرى اذا ضاقت عليه أو جهل بعضها قال وينبغي للانسان ان يقرأ التواريخ وان يطلع على السير وتجارب الامم فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الامم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف خيرهم وشرهم قال وينبغي ان تكون سيرتك سيرة الصدر الاول فاقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتتبع أحواله وأفعاله واقتف آثاره وتشبه به ما امكنك وبقدر طاقتك واذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمرضه وتطببه ومعاملته مع ربه ومع أزواجه وأصحابه وأفعاله مع أعدائه وفعلت اليسير من ذلك فانت السعيد كل السعيد قال وينبغي ان تكثر اتهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل ومن لم يعرق جبينه الى أبواب العلماء لم يعرف الفضيلة ومن لم يخجلوه لم يجلوه الناس ومن لم يكتبوه لم يسود ومن لم يحتمل الم التعلم لم يذق لذة العلم ومن لم يكدح لم يفلح واذا خلوت من التعلم والتذكر فحرك لسانك بذكر الله وبتسابيحه وخاصة عند النوم فيشعر به ليلك ويتجعن في خيالك وتكلم به في منامك واذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات واذا احزنك أمر فاسترجع واذا استعرنك غفلة فاستغفر واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك الى الاخرة واذا أردت ان تعصي الله فاطلب مكانا لا يراك فيه واعلم ان الناس عيون الله على العبد يرونهم خيره وان اخفاه وشره وان ستره فباطنه مكشوف لله والله يكشفه لعباده وعليك ان تجعل باطنك خيرا من ظاهرك وسرك أصلح من علانيتك ولا تتألم اذا عرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل وقلما يتعلق في العلم ذو الثروة الا ان يكون شريف الهمة جدا وان تثرى بعد تحصيل العلم وانى لا أقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها لان همته مصروفة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا والدنيا انما تحصل بحرص وفكر في وجوهها فاذا غفل عن أسبابها لم تأته وأيضا فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة والمكاسب الدنية وعن أصناف التجارات وعن التذلل

www.marefa.org

لارباب الدنيا والوقوف على أبوابهـــم ولبعض اخواننا بيت شـــعر

من جـد في طلب العلوم أفاته ❀ شرف العلوم دناءة التحصيل

وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج الى فراغ لها وحذق فيها وصرف الزمان اليها والمشتغل بالعلم لا يسعه شئ من ذلك وانما ينتظران تأتيه الدنيا بلاسبب وتطلبه من غيران يطلبها طلب مثلها وهذا ظلم منه وعدوان ولكن اذا تمكن الرجل في العلم وشهر به خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وما وجهه موفر وعرضه ودينه مصون واعلم ان الدين عقبة وعرف ينادي على صاحبه ونور وضياء يشرق عليه ويدل عليه كأنه المسك لا يخفى مكانه ولا تجهل بضاعته وكمن يشعل في ليل مدلهم والعالم مع هذا محبوب أين ما كان وكيف ما كان لا يعدل الامن يميل اليه ويوثر قربه ويأنس به ويرتاح بمداناته واعلم ان العلوم تفور ثم تفور تفور في زمان وتفور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه وتنتقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع ومن كلامه أيضا نقلته من خطه قال اجعل كلامك في الغالب بصفات ان يكون وجيزا فصيحا في معنى مهم أو مستحسن فيه الغازما وابهام كثيرا وقليل ولا تجعله مهملا كالكلام المجهور بل ارفعه عنهم ولا تباعده عليهم جدا وقال اياك الهذر والكلام فيما لا يعنى واياك والسكوت في محل الحاجة ورجوع النوبة اليك اما الاستخراج حق أو اجتلاب مودة أو تنبيه على فضيلة واياك والضحك مع كلامك وكثرة الكلام وتبتير الكلام بل اجعل كلامك سردا بسكون ووقار بحيث يستشعر منك ان وراءه اكثر منه وانه عن خبرة سابقة ونظر متقدم وقال واياك والغلظة في الخطاب والجفا في المناظرة فان ذلك يذهب بهجة الكلام ويسقط فائدته ويعدم حلاوته ويجلب الضغائن ويمحق المودات ويصير القائل مستثقلا لسكوته أشهى الى السامع من كلامه ويثير النفوس على معاندته ويبسط الالسن بمناقشته واذهاب حرمته وقال لا ترفع بحيث ستثقل ولا تتنازل بحيث تستخس وتستحقر وقال اجعل كلامك كله جدا واجبه من حيث تعقل لا من حيث تعتاد وتألف وقال انتزع عن عادات الصبي وتجرد عن مألوفات الطبيعة واجعل كلامك لاهيا في الغالب لا ينفك عن خبر أو قرآن أو قول حكيم أو بيت نادر أو مثل سائر وقال تجنب الوقيعة في الناس وسب الملوك والغلظة على المعاشر وكثرة

الغضب

www.marefa.org

الغضب وتجاوز الحد فيه وقال استكثر من حفظ الاشعار الامثالية والنوادر الحكمية والمعانى المستغربة ومن دعائه رحمه الله تعالى قال اللهم أعذنا من شموس الطبيعة وجموح النفس الردية وساس لنا مقاد التوفيق وخذ بنا فى سواء الطريق يا هادى العمى يا مرشد الضلال يا محيى القلوب الميتة بالاعياء يا منير ظلمة الضلالة بنور الايقان خذ بايدينا من مهواة الهلكة نجنا من ردغة الطبيعة طهرنا من درن الدنيا الدنية بالاخلاص لك والتقوى انك مالك الآخرة والدنيا وتسبيح له أيضا قال سبحان من عم بحكمته الوجود واستحق بكل وجه ان يكون هو المعبود تلألأت بنور جلالك الآفاق وأشرقت شمس معرفتك على النفوس اشراقا وأى اشراق وللموفق الدين عبد اللطيف البغدادى من الكتب كتاب غريب الحديث جمع فيه غريب أبى عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابى كتاب المجرد من غريب الحديث كتاب الواضحة فى اعراب الفاتحة كتاب الالف واللام مسألة فى قوله سبحانه اذا أخرج يده لم يكد يراها مسألة نحوية مجموع مسائل نحوية وتعاليق كتاب رب شرح بانت سعاد كتاب ذيل الفصيح الكلام فى ذات والصفات الذاتية الجارية على السنة المتكلمين شرح اوائل المفصل خمس مسائل نحوية شرح مقدمة ابن باب شاذ وسماه باللمع الكاملية شرح الخطب النباتية شرح الحديث المسلسل شرح سبعين حديثا شرح اربعين حديثا طبية كتاب الرد على ابن خطيب الرى فى تفسير سورة الاخلاص كتاب كشف الظلامة عن قدامة شرح نقد الشعر لقدامة احاديث مخرجة من الجمع بين الصحيحين كتاب الالوا العزيز باسم الملك العزيز فى الحديث كتاب قوانين البلاغة عمله بحلب سنة خمس عشرة وستمائة حواشى على كتاب الخصائص لابن جنى كتاب الانصاف بين ابن برى وابن الخشاب فيما رد به ابن الخشاب على المقامات للحريرى وانتصار ابن برى للحريرى مسألة فى قولهم أنت طالق فى شهر قبل ما بعد قبل رمضان تفسير قوله عليه السلام الراحمون يرحمهم الرحمن كتاب قبسة الجلان فى النحو اختصار كتاب الصناعتين للعسكرى اختصار كتاب العمدة لابن رشيق مقالة فى الوفق كتاب الجلى فى الحساب الهندى اختصار كتاب النبات لابى حنيفة الدينورى كتاب آخر فى فنه مثله اختصار كتاب مادة البقاء للتميمى كتاب الفصول وهو بلغة الحكيم سبع مقالات فرغ منه فى شهر رمضان سنة ثمان وستمائة شرح كتاب الفصول لابقراط شرح

www.marefa.org

كتاب تقدمة المعرفة لابقرط اختصار شرح جالينوس لكتاب الامراض الحادة لابقراط
اختصار كتاب الحيوان لارسطوطاليس تهذيب مسائل مابال لارسطوطاليس كتاب آخر
فى فنه مثله اختصار كتاب منافع الاعضاء لجالينوس اختصار كتاب اراء ابقراط وافلاطون
اختصار كتاب الجنين اختصار كتاب الصوت اختصار كتاب المنى اختصار كتاب الات النفس
اختصار كتاب العضل اختصار كتاب الحيوان للجاحظ كتاب فى الات التنفس وأفعالها ستة
مقالات مقالة فى قسمة الحيات ومايقوم به كل واحد منها وكيفية تولدها كتاب النخبة
وهو خلاصة الامراض الحادة اختصار كتاب الحيات للاسرائلى اختصار كتاب البول
للاسرائلى اختصار كتاب النبض للاسرائلى كتاب أخبار مصر الكبير كتاب أخبار مصر الصغير
مقالتان وترجمه كتاب الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض
مصر وفرغ من تأليفه فى العاشر من شعبان سنة ثلاث وستمائة بالبيت المقدس كتاب تاريخ
وهو يتضمن سيرته ألفه لولده شرف الدين يوسف مقالة فى العطش مقالة فى الماء مقالة
فى أحصا مقاصد الفلاسفة وأصفى الكتب فى كتبهم ومايتبع ذلك من المنافع والمضار
مقالة فى معنى الجوهر والعرض مقالة موجزة فى النفس مقالة فى الحركات المعتادة مقالة
فى العادات الكلمة فى الربوبية مقالة تشتمل على أحد عشر بابا فى حقيقة الدوا والغذا
ومعرفة طبقاتهما وكيفية تركيبهما مقاله فى المبادى بصناعة الطب مقالة فى شفا الضد
بالضد مقالة فى دياباطس والادوية النافعة منه مقالة فى الزوائد حررها بحلب فى جمادى
الاخرة من سنة سبع عشرة وستمائة وكان قد وضعها بمصر سنة خمس وتسعين وخمسمائة
مقالة فى السقنقور مقاله فى الحنطة مقالة فى الشراب والكرم مقالة فى البحران صغيرة
رسالة الى مهندس فاضل عملى كتب بها اليه من مدينة حلب اختصار كتاب الادوية
المفردة لابن وافد اختصار كتاب الادوية المفردة لابن سمجون كتاب كبير فى الادوية
المفردة مختصر فى الحميات مقالة فى المزاج كتاب الكفاية فى التشريح كتاب الرد على ابن
الخطيب فى شرحه بعض كليات القانون والف كتابه هذا لعمى رشيد الدين على بن خليفة
رحمه الله وأرسله اليه وكان تأليفه لذلك بحلب قبل توجهه الى بلاد الروم كتاب تعقب
حواشى ابن جميع على القانون مقالة يرد فيها على كتاب على بن رضوان المصرى فى
اختلاف جالينوس وارسطوطاليس مقالة فى الحواس مقالة فى الكلمة والكلام

كتاب

www.marefa.org

كتاب السبعة كتاب تحفة الامل مقالة فى الرد على اليهود والنصارى مقالة فى ترتيب المصنفين كتاب الحكمة العلائية ذكر فيه أشياء حسنة فى العلم الالهى والف كتابه هذا لعلاء الدين داود ابن بهرام صاحب أرزنجان مقالة على جهة النوطئة فى المنطق حواشى على كتاب البرهان للفارابى كتاب الترياق فصول منتزعة من كلام الحكماء حل شئ من شكوك الرازى على كتب جالينوس كتاب المراقى الى الغاية الانسانية ثمانى مقالات مقاله فى ميزان الادوية المركبة من جهة الكميات مقالة فى موازنة الادوية والادوا من جهة الكيفيات مقالة فى تعقب أوزان الادوية مقالة أخرى فى المعنى وكشف الشبه وقعت لبعض العلماء مقالة فى المعنى فيها جواب ثلاث مسائل مقالة سادسة مختصرة مقالة تتعلق بموازين الادوية الطبية فى المركبات قول أخر فى المعنى مقالة فى التنفس والصوت والكلام مقالة فى اختصار كلام جالينوس فى سياسة الصحة انتزاعات من كتاب دياسقوريدس فى صفات الحشائش انتزاعات أخرى فى منافعها مقالة فى تدبير الحرب كتبها لبعض ملوك زمانه فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ووجدته أيضا وقد ترجمها مقالة فى السياسة العملية كتاب العمدة فى أصول السياسة مقالة فى جواب مسألة سأل عنها فى ذبح الحيوان وقتله وهل ذلك سائغ فى الطبع والعقل كما هو سائغ فى الشرع مقالتان فى المدينة الفاضلة مقالة فى العلوم الضارة رسالة فى الممكن مقالتان مقالة فى الجنس والنوع اجاب بها فى دمشق سؤال سائل فى سنة أربع وستمائة الفصول الاربعة المنطقية تهذيب كلام افلاطون حكم منثورة ايساغوجى مبسوط الواقعات مقالة فى النهاية واللانهاية كتاب الفطن فى المنطق والطبيعى والالهى مقالة فى كيفية استعمال المنطق وكتب بهذه المقالة الى من بلاد الروم مقالة فى حد الطب مقالة فى البادى بصناعة الطب مقالة فى اجزاء المنطق التسعة مجلد كبير مقالة فى القياس كتاب فى القياس خمسون كراسا ثم اضيف اليه المدخل والمقولات والعبارة والبرهان فبلغ مقداره أربع مجلدات مقالة فى جواب مسألة فى التنبيه على سبيل السعادة الطبيعيات من السماع الى أخر كتاب الحس والمحسوس ثلاث مجلدات كتاب السماع الطبيعى مجلدان كتاب آخر فى الطبيعيات من السماع الى كتاب النفس كتاب العجيب حواشى على كتاب الثمانية المنطقية للفارابى شرح الاشكال البرهانية من غنية أبى نصر مقالة فى تزييف الشكل الرابع مقالة فى تزييف

www.marefa.org

ما يعتقده أبو علي ابن سينا من وجود اقيسة شرطية مقالة في القياسات المختلطات
والصرف بابراما نياس مبسوط مقالة في المقاييس الشرطية التي يظنها ابن سينا مقالة أخرى
في المعنى أيضا كتاب النصيحتين للاطباء والحكماء كتاب المحاكمة بين الحكيم والكيماوي
رسالة في المعادن وابطال الكيميا مقالة في الحواس عهد الى الحكماء اختصار كتاب
الحيوان لابن أبي الاشعث اختصار كتاب القوانج لابن أبي الاشعث مقالة في البرسام
مقالة في العلة المراقية مقالة في الرد على ابن الهيثم في المكان مختصر فيما بعد الطبيعة مقالة
في التحال ألفها بمصر سنة تسع وتسعين وخمسمائة وبيضها بمدينة ارزنجان في رجب
سنة خمس وعشرين وستمائة مقالة في اللغات وكيفية تولدها مقالة في الشعر مقالة في
الاقيسة الوصفية مقالة في القدر مقالة في الملل الكتاب الجامع الكبير في المنطق والعلم
الطبيعي والعلم الالهي وهو زهاء عشر مجلدات التام تصنيفه في تحويف وعشرين سنة
كتاب المدهش في أخبار الحيوان المتوج بصفات نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام

قال ابتدأت بكراس منه بدمشق سنة سبع وستمائة وكمل في أربعة أشهر
بحلب سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو في مائة كراس

كتاب الثمانية في المنطق وهو التصنيف

الوسط

تم

www.marefa.org

كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر

لعبد اللطيف البغدادي

٣

www.marefa.org

كتاب الافادة والاعتبار
فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر
لعبد اللطيف البغدادى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على خاتم النبيين محمد النبى العربى وعلى آله الطاهرين وبعد فانى لما أنهيت كتابى فى أخبار مصر المشتمل على ثلاثة عشر فصلا رأيت ان أفرد منه الحوادث الحاضرة والآثار البادية المشاهدة اذ كانت أصدق خبرا وأعجب أثرا وان ماعداها قد يوجد بعضه أوكله فى كتب من سلف مجتمعا أو مفترقا فالفيت ذلك فى فصلين منه فجردتهما وجعلتهما مقالتين فى هذا الكتاب وزدت ونقصت بحسب ما اقتضته الحال رجاء ان يخف انهاؤه ويلطف موقعه عند عرضه على صاحب الامر وامام العصر امام الانام ومفترض الطاعة بموجب شريعة الاسلام خليفة الله فى أرضه ومنتهى مقر وحيه والقيم على العالم بامضاء أمر الله تعالى فيهم ونهيه سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ذى المواقف المقدسة النبوية الطاهرة الزكية المجيدة المعظمة الامامية الباهرة أنوارها الزاهرة آلاؤها لئلا ينطوى عن العلوم الشريفة شئ من أخبار بلاده وان تراخت أو يخفى بعض أحوال رعاياه وان تناءت وليعلم حفدة سدته وخواص دولته والعاكفون بحضيرة قدسه والطائفون بحرم كعبته مقدار ما يديه الله تعالى عنهم به فيزدادوا لله تعالى شكرا ليزيدهم بدوام دولة أمير المؤمنين عليهم فضلا وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وعلى العبد التقرب بالانهاء وان كانت العلوم النبوية اليها الانتهاء فان الله سبحانه تعبد أن يدعى جهرا وان كان يعلم السر وأخفى ليظهر على الجوارح ما تكن الضمائر فيكمل للمرء المسلم مراتب الايمان الثلاث عقدا بالقلب وقولا باللسان وعملا بالجوارح جعلنا الله ممن ترقى الى هذه الدرجة فى طاعته بطاعة خليفته فى أرضه صلوات الله عليه وعلى الخلفاء الراشدين من قبله

www.marefa.org

﴿المقالة الاولى وهى ستة فصول﴾

﴿الفصل الاول﴾
(فى خواص مصر العامة لها)

انّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار وهى واد يكتنفه جبلان شرقى وغربى والشرقى أعظمهما يبتدئان من أسوان وينقاربان باستناحتى يكادا يتماسان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدا طولا انفرجا عرضا حتى اذا أزيا الفسطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيل ينساب بينهما وتشعب بأسافل الارض وجميع شعبه تصب فى البحر الملح

وهذا النيل له خاصتان (الاولى) بعدم رماه فانا لا نعلم فى المعمور نهرا أبعد مسافة منه لان مباديه عيون نأتى من جبل القمر وزعموا انّ هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة وعرض أسوان وهى مبدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة ونصف درجة وعرض دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى وثلاثون درجة وثلث درجة فتكون مسافة النيل على خط مستقيم ثلاثا وأربعين درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسع مائة فرسخ هذا سوى ما يأخذ من التعريج والتوريب فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدّا

والخاصة (الثانية) انه يزيد عند نضوب سائر الانهار ونشيش المياه لانه يبتدئ بالزيادة عندما تنهاطول النهار وتتناهى زيادته عند الاعتدال الخريفى وحينئذ تفتح الترع وتفيض على الاراضى وعلة ذلك ان مواد زيادته أمطار غزيرة دائمة وسيول متواصلة تمده فى هذا الاوان فان أمطار الاقليم الاول والثانى انما تغزر فى الصيف والغيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خواص منها انه لا يقع بها مطر الا مالا احتفال به وخصوصا صعيدها فأما أسافلها فقد يقع بها مطر جود لكنه لا يفى بحاجة الزراعة وأما دمياط والاسكندرية وما دانا هما فهى غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيلها

www.marefa.org

ومنها ان أرضها رملية لا تصلح للزراعة لكنه بأنها طين أسود عليك فيه دسومة كثيرة يسمى الابليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مده فيستقر الطين وينضب الماء فيحرث ويزرع وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا يزرع جميع أراضيها ولا يراح شئ منها كما يفعل فى العراق والشام لكنها يخالف عليها الاصناف وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحرائة لانها تجيء بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت المؤنة كانت زكاة الزرع ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكية كثيرة الانماء والريع اذ كانت أقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الارض فانها أسافة مضوبة اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه بأنيها الماء وقد راق وصفا ولا أعرف شبيها بذلك الا ما حكى لى عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فينبت فيحرث ويزرع فاذا حصد جاءته رياح أخرى فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا

ومنها ان الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التى لها فان أخص الاوقات باليبس فى سائر البلاد أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمد نيلها وفيضه لانه يمد فى الصيف ويطبق الارض فى الخريف فاما سائر البلاد فان مياهها تنش فى هذا الاوان وتغزر فى أخص الاوقات بالرطوبة أعنى الشتاء والربيع ومصر اذ ذاك تكون فى غاية القحولة واليبس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلب على أهلها الامراض العفنية الحادثة عن اخلاط صفراوية وبلغمية وقلما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى فى الشباب والمحرورين وكثيرا ما يكون مع الصفرا خام وأكثر أمراضهم فى آخر الخريف وأول الشتاء لكنها يغلب عليها حميد العاقبة وتقل فيهم الامراض الحادة والدموية الوحية وأما أصحاؤهم فيغلب عليهم الترهل والكسل وشحوب اللون وكمودته وقلما ترى فيهم مشبوب اللون ظاهر الدم وأما صبيانهم فضاوون يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وانما تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد العشرين وأما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة بلدهم الذاتية لان رطوبته عرضية ولهذا كان أهل الصعيد أقل جسوما وأجف أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم البياض

ولما

www.marefa.org

ولما رأى قدماء المصريين ان عمارة أرضهم انما هي بنيلها جعلوا أول سنتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة

ومنها ان الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرقي المسمى المقطم فانه يسترعنها هذه الريح الفاضلة وقلما تهب عليهم خالصة الهم الا نكبا ولهذا اختار قدماء المصريين ان يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها مما يبعد عن هذا الجبل الشرقي الى الغربي واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا موضع الفسطاط لقربه من المقطم فان الجبل يسترعما في لحفه أكثر مما يسترعما بعده منه ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقل في هوائهم النضج ويبقى زمانا على نهوة الليل ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ولكثرة رطوبته يتسارع العفن اليها ويكثر فيها الغار ويتولد من الطين والعقارب تكثر بقوص وكثيرا ما تقتل بلسبها والبق المتخذ من الذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا

ومنها ان الجنوب اذا هبت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جدا ويسمونها المريسي لمرورها على أرض المريس وهي من بلاد السودان وسبب بردها مرورها على برك ونقائع والدليل على صحة ذلك انها اذا دامت أياما متوالية عادت الى حرارتها الطبيعية وأسخنت الهواء وأحدثت فيه يبسا

* (الفصل الثاني) *

(فيما تختص به من النبات)

من ذلك الباميه وهي ثمر يقدر ابهام اليد كانه جرأ القثاء شديد الخضرة الا ان عليه زبيرا مشوكا وهو مخمس الشكل يحيط به خمسة أضلاع فاذا شق انشق عن خمسة أبيات بينها حواجز وفي تلك الابيات حب مصطف مستدير أبيض أصغر من اللوبياهش يضرب الى الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة يطبخ أهل مصر به اللحم بأن يقطع مع قشوره صغارا ويكون طعاما لا بأس به الغالب على طبعه الحرارة والرطوبة ولا يظهر في طبيخه قبض بل لزوجة

ومن ذلك الملوخية ويسميها الاطباء الملوكية ولعمري هي الحجازي البستاني والخطمي أيضا نوع من الخبازي البري والملوخية أشد مائية ورطوبة من الخبازي وهي باردة

www.marefa.org

رطبة فى الاولى تزرع فى المباقل و يطبخ بها اللحم وهى كثيرة اللعابية وتزرع أيضا بالشام قليلا و يطبخ بها عندهم فى الندرة وهى ردية للمعدة لكنها تسكن الحرارة وتبرد و يسرع انحدارها لتزلقها قال الاسرائيلى رأيت نوعا ثالثا من الخبازى يسمى بمصر ملوخية السودان و يعرف بالعراق بالشوشندية وقوته وفعله وسط بين الملوخية والخبازى لأنه أقل اغذاء من الملوخية وأكثر من الخبازى

ومن ذلك اللبخ وشجرته كالسدرة ريانضرة وثمرته بقدر الخلال الكبار وفى لونه الا انه مشبع الخضرة كلون المسن ومادام بقافقيه قبض كما فى البسلخ فاذا نضج طاب وحلا وعاد فيه لزوجة ونواته كنواة الاجاص أو كقلب اللوزة بيضاء الى الغبرة وتكسر بسهولة فتنفلق عن لوزة ريا بيضاء لينة واذا بقيت ثلاثة أيام ضمرت وصلبت وكلما تطاول عليها الزمان اضمحل اللب و بقى القشر فارغا أو كالفارغ غير انه لا يتشنج بل يتقلقل اللب فيه لسعة المكان عليه وتجد فى طعم اللب مرارة ظاهرة ولذعا يبقى أثره فى اللسان مدة وقد حدثت على انه أحد ضروب الدندالثلاثة فقد قال ارسطو وغيره ان اللبخ كان بفارس سما قاتلا فنقل الى مصر فصار غذاء وقال نيقولاوس وأما اللبخ فقد كان فى أرض فارس قاتلا فنقل الى الشام والى مصر فصار جيدا ما أكولا وهو قليل غال وانما تكون فى البلاد منه شجرات معدودات وأما خشبه ففى غاية الجودة صلب خرى وأسود وهو عزيز ثمين وأهل مصر يحفرون اللبخ مع القواكه والانفال وقال أبو حنيفة الدينورى اللبخ شجرة عظيمة مثل الاثاب اذا عظم ورقها كورق الجوز ولها جنا كجنا الحماط مر اذا أكل أعطش واذا شرب عليه الماء نفخ البطن وهو من شجر الجبال ثم روى عن رجل من صعيد مصر ان اللبخ شجر عظام أمثال الدلب له ثمر اخضر يشبه التمر حلو جدا الا انه كريه جيد لوجع الاضراس قال واذا نشر ارعف ناشره وينشر فيبلغ ثمن اللوح خمسين دينارا ويجعله أصحاب المراكب فى بناء السفن لبعض العلل وزعم انه اذا ضم منه لوحان ضما شديدا وجعلا فى الماء سنة التحما وصارا لوحا واحدا وأكثر ما حكاه الدينورى لا أعرف صحته وقال ابن سمجون اللبخ يكون بمصر وثمرته جيدة للمعدة وقد يوجد عليه صنف من الرتيلا وورقه اذا جفف قطع الدم ذرورا والاسهال شربا وفيها قبض بين قال وأما نوى ثمره فيزعم أهل مصران أكله يحدث صمما

ومن

www.marefa.org

ومن ذلك الجميز وهو بمصر كثير جدا ورأيت منه شيأ بعسقلان والساحل وكاثنه تين بري وتخرج ثمرته في الخشب لا تحت الورق ويخلف في السنة سبعة بطون ويوكل أربعة أشهر ويحمل وقرا عظيما وقبل ان يجني بأيام يصعد رجل الى الشجرة ومعه حديدة يسم بها حبة حبة من الثمرة فيجري منها لبن ابيض ثم يسود الموضع وتحلو الثمرة بذلك الفعل وقد يوجد منه شئ شديد الحلاوة أحلى من التين لكنه لا يفلك في أواخر مضغه من طعم خشبية ما وشجرته كبيرة كشجرة الجوز العاتية ويخرج من ثمره وغصنته اذا قصدت لبن أبيض اذا طلى على ثوب أو غيره صبغه أحمر وخشبه تعمر به المساكن ويتخذ منه الابواب وغيرها من الالات الجافية وله بقاء على الدهر وصبر على الماء والشمس وقلما يتأكل هذا مع انه خشب خفيف قليل الدودة ويتخذ من ثمرته خل حاذق ونبيذ حاذ قال جالينوس الجميز بارد رطب فيما بين التوت والتين وهو ردي للمعدة ولبن شجرته له قوة ملينة تلصق الجراح وتفش الاورام ويلطخ على لسع الهوام ويحلل جساة الطحال وأوجاع المعدة ضمادا ويتخذ منه شراب للسعال المتقادم ونوازل الصدر والرية وعمله بان يطبخ في الماء حتى تخرج فيه قوته ويطبخ ذلك الماء مع السكر حتى ينعقد ويرفع وقال أبو حنيفة ومن أجناس التين تين الجميز وهو تين حلو رطب له معاليق طوال ويزبب وضرب آخر من الجميز حمله كالتين في الخلقة وورقه أصغر من ورق التين وتينه أصفر صغار وأسود ويكون بالغور ويسمى التين الذكر والاصفر منه حلو والاسود يدمي الفم وليس لتينه علاقة بل لاصق بالعود

ومن ذلك البلسان فانه لا يوجد اليوم الا بصربعين شمس في موضع محاط عليه محتفظ به مساحته نحو سبعة أفدنة وارتفاع شجرته نحو ذراع واكثر من ذلك وعليها قشران الاعلى أحمر خفيف والاسفل اخضر ثخين واذا مضغ ظهر في الفم منه دهنية ورائحة عطرة وورقه شبيه بورق السذاب ويجتنى دهنه عند طلوع الشعرى بأن تشدخ السوق بعد ما يحت عنها جميع ورقها وشدخها يكون بحجر يتخذ محددا ويفتقر شدخها الى صناعة بحيث يقطع القشر الاعلى ويشق الاسفل شقا لا ينفذ الى الخشب فان نفذ الى الخشب لم يخرج منه شئ فاذا شدخه كما وصفنا أمهله ريثما يسيل الماء على العود فيجمعه باصبعه مسحا الى قرن فاذا امتلأ صبه في قنانى زجاج ولا يزال كذلك حتى ينتهي جناه وينقطع الماء وكلما كثر الندى

www.marefa.org

فى الجو كان لثاه اكثر وأغزر وفى الجدب وقلة الندى يكون اللثا أنزر ومقدار ما يخرج منه فى سنة ست وتسعين وخمس مائة وهى عام جدب نيف وعشرون رطلا ثم تؤخذ القنانى فتدفن الى القيظ وحمارة الحر وتخرج من الدفن وتجعل فى الشمس ثم تتفقد كل يوم فيوجد الدهن وقد طفا فوق رطوبة مائية وانثال أرضية فيقطف الدهن ثم يعاد الى الشمس ولا يزال كذلك يشمسها ويقطف دهنها حتى لا يبقى فيها دهن فيؤخذ ذلك الدهن ويطبخه قيمه فى الخفية لا يطلع على طبخه أحد ثم يرفعه الى خزانة الملك ومقدار الدهن الخالص من اللثا بالترويق نحو عشرة المجلة وقال لى بعض أرباب الخبرة ان الذى يحصل من دهنه نحو من عشرين رطلا ورأيت جالينوس يقول ان أجود دهن البلسان ما كان بأرض فلسطين وأضعفه ما كان بمصر ونحن فلا نجد اليوم منه بفلسطين شيئا البتة وقال نيقولاوس فى كتاب النبات ومن النبات ما له رائحة طيبة فى بعض أجزائه ومنه ما رائحته الطيبة فى جميع أجزائه كالبلسان الذى يكون فى الشام بقرب بحر الزفت والبير التى يسقى منها تسمى بير البلسم وماؤها عذب وقال ابن سمجون انما يوجد فى زماننا هذا بمصر فقط ويستخرج دهنه عند طلوع كلب الجبار وهو الشعرى ذلك فى شباط ومقدار ما يخرج ما بين خمسين رطلا الى ستين ويباع فى مكانه بضعفه فضة وكأن هذا الحال قد كانت فى زمن ابن سمجون وحكى عن الرازى ان بدله دهن الفجل وهذا بعيد والبلسان الدهنى لا يثمر وانما تؤخذ منه فسوخ فتغرس فى شباط فتعلق وتنمى وانما الثمر للذكر البرى ولا دهن له ويكون بنجد وتهامة وبرارى العرب وسواحل اليمن وبأرض فارس ويسمى البشام ويربى قشره قبل استخراج دهنه فيكون نافعا من جميع السموم وأما خواصه ومنافعه فالايق بها غير هذا الكتاب

ومن ذلك القلقاس وهو أصول بقدر الخيار ومنه صغار كالاصابع يضرب الى حمرة خفيفة يقشر ثم يشقق على مثل التلجم وهو كثيف مكتنز يشابه الموز الاخضر الفج فى طعمه وفيه قبض يسير مع حرافة قوية وهذا دليل على حرارته وبيسه فاذا سلق زالت حرافته جملة وحدث له مع ما فيه من القبض اليسير لزوجة مغرية كانت فيه بالقوة الا ان حرافته كانت تخفيها وتسترها ولذلك صار غذاؤه غليظا بطيء الهضم ثقيلا فى المعدة الا انه لما فيه من القبض والعقوصة صار مقويا للمعدة حابسا للبطن اذا لم يكثر منه ولما فيه من اللزوجة

www.marefa.org

اللزوجة والتغرية صار نافعا من سحج المعاء وقشره أقوى على حبس البطن من جرمه لان قبضه أشد ويطبخ في السماقية وغيرها فيعود في المرقة لزوجة يعافها من لا يعتادها ولكن اذا اسلق وصبت سلاقته ثم قلي بالدهن حتى يتورد فلا بأس به والغالب على مزاجه الحرارة والرطوبة ويظهر من حاله انه مركب من جوهرين جوهر حار جريف يذهب بالطبخ وجوهر أرضي مائي يغني بالطبخ وذلك كما في البصل والثوم وما كان كذلك فهو يادواني ومضر وخاغذائي وقد رأيته بدمشق لكن قليلا ورأيته اذا يبس يرجع خشبيا كالقسط سواء وأما ورقه فورق مستدير واسع على شكل خف البعير سواء لكنه أكبر منه ويكون قطر الورقة ما بين شبر الى شبرين ولكل ورقة قضيب مفرد في غلظ الاصبع وطول شبرين أو أزيد ونبات كل قضيب من الاصل الذي في الارض اذ ليس لهذا النبات ساق ولا ثمر أبيض وورق القلقاس شديد الخضرة رقيق البشرة شبيه بورق الموز في خضرته ونعمته ورونقه ونضارته وقال ديوسقوريذس ان لهذا النبات زهرا على لون الورد فاذا عقد عقد شيئا شبيها بالحراب كانه نفاخة الماء وفيه باقلى صغير أصغر من الباقلى اليوناني يعلو موضعه المواضع التي ليس فيها باقلى فمن أراد أن يزرعه فانما يأخذ ذلك الباقلى ويصيره في كتل طين ويلقيها في الماء فينبت وزعم انه يوكل طريا ويابسا وانه يعمل منه دقيق يشرب كالسويق ويعمل منه حسو فيقوي المعدة وينفع من الاسهال المري وسحوج الامعاء وان الشيء الاخضر الذي في وسطه المرا طعم اذا سحق وخلط بدهن وقطر في الاذن سكن وجعها وقال الاسرائيلي اما نحن فما شاهدنا له زهرا قال ورأيت أصل هذا النبات اذا خزن في المنازل وجاء وقت نباته تفرع من الباقلى اللاصق به فروع وأنبت من غير ان يظهر له زهر ولا ثمر لكن لون الباقلاء نفسها كلون زهر الورد لانها حين تزرع وتأخذ في النبات يخرج ما يزرعها حسن البياض يعلوه توريد يسير قال وما وجدنا له جفافا يمكن معه ان يكون منه سويق ولا رأيناه السنة كلها الا رطبا مثل بصل الترجس وبصل الزعفران ونحوه قال ولم نر في وسطه هذا الاخضر الذي ذكره ديوسقوريذس ولا وجدناه السنة كلها الا كالموز الاخضر أقول كلا بل الحق ما قاله ديوسقوريذس وانه يجف حتى يقبل السحق ويمكن ان يتخذ منه السويق وهذا رأيناه عيانا وانه اذا جف لا فرق بينه وبين

www.marefa.org

الزنجبيل فى المنظر سوى ان القلقاس أكبر وتجد فى طعمه حدّة ولذعا وأقول عن حدس صناعى مبدؤه المشاهدة والسماع ان القلقاس زنجبيل مصرى اكسبته الارض رطوبة فقلت حرارته وحدته كما ان الزنجبيل الزنجى والهندى أقوى واحد من اليمنى وأهل اليمن يطبخون به كما يطبخ المصريون بالقلقاس لكن لا يستكثر منه جدّا ولقد سألت جماعة من التجار وأرباب المعرفة عن منبته باليمن وشكله فكلهم زعم انه كالقلقاس غير ان القلقاس أكبر وكذلك ورقه أكبر من ورق الزنجبيل وقد شاهدته اذا يبس لا فرق بينه و بين الزنجبيل فى الصورة مع حدّة ولذع يسير وقال لى آخر ان نبات الزنجبيل يشبه نبات البصل مع ان القلقاس يكون فى تلك البلاد وكانه بستانى وقال على بن رضوان القلقاس أسرع الاغذية استحالة الى السوداء وقال غيره من أطباء مصر ان القلقاس يزيد فى الباه وفى كل نظر لا يليق بهذا الكتاب

ومن ذلك الموز وهو كثير باليمن والهند ورأيته بالغور و بدمشق مجلوبا وكونه من فراخ تظهر من أصل شجرته كما تظهر الفسلان من النخلة وتسمى الثمرة الام فاذا أخذت ثمرتها قطعت هى أيضا وخلفها أكبر بناتها وترتفع قامة الى قامتين وكانها نخلة لطيفة وزعموا ان شجر الموز فى الاصل مركب من قلقاس ونوى النخل تجعل النواة فى جوف القلقاسة وتغرس وهذا القول وان كان سادجا من دليل يشهد له فالحس يسوغه وذلك انك تجد لشجرته سعفا كسعف النخل سواء الا انك ينبغى ان تتخيل الخوص اتصل بعضه ببعض حتى صار كانه ثوب حرير أخضر قد نشر أو راية خضراء ترف رياوطراوة وكان الرطوبة اكتسبها من القلقاس والشكل اكتسبه من النخل وأنت تعلم ان تشقق سعف النخل الى الخوص انما كان من قبل اليبس الغالب على مزاج النخل ولكثرة رطوبة الموز بقى سعفه متصل الخوص ولم يتشقق فعلى هذا يكون القلقاس له بمنزلة المادّة والنخل بمنزلة الصورة وأنت اذا تأمّلت خشب الموز وورقه بعد يبسه ألفيت فيه تلك الشظايا والخيوط التى تجدها فى جذع النخل وسعفه الا انك تجدها مشوبة برطوبة قد ألجمت بينها وملأت فرجها وان كان القلقاس لا ينفك من ذلك أيضا و يتبينه أكله مقلوا وأما الثمر فانك تراه اعذاقا كاعذاق النخل قد تحمل شجرته خمسمائة موزة فصاعدا و يكون فى منتهى العذق موزة تسمى الام ليس فيها لحم ولا تؤكل واذا شققت

وجدت

www.marefa.org

وجدت مؤلفة من قشور كالبصل كل قشرين منها متقابلان يحتوى كل واحد منهما على نصفها طولا وتحت كل قشر عند القاعدة زهر أبيض بقدر القسطى أو كزهر النارنج عدده أحد عشر فى صفين لا ينقص عن هذا العدد ولا يزيد الا واحدا نادرا فهذا القشر بمنزلة كفرى الطلع والزهر بمنزلة الطلع نفسه وتنشق هذه القشور من تلقاء أنفسها على التدريج الاعلى فالاعلى فيظهر ذلك الزهر أبيض بمنزلة البلح وفيه رطوبة حلوة فيتساقط وتعقد عنه الموزة صغيرة فاذا أخذت فى النمو قليلا انشق قشر آخر على الرسم ولا يزال كذلك حتى ينتهى العنق وتجد قشر الموزة كقشر الرطبة الا انه غليظ جدا بما اكتسبه من مادة القلقاس ولحمها حلو فيه تفاهة كانه رطب مع خبز فالحلاوة له من الرطب والتفاهة من القلقاس واما شكلها ففى شكل الرطبة الا انها بقدر الخيارة الكبيرة تميل الى الصفرة والبياض فالصفرة من الرطب والبياض من القلقاس وحين ما يقطع يكون شديد الخضرة جدا لا يصلح للاكل فاذا دفن أياما اصفر وصلح للاكل ثم انك تجد فى وسطها شحمة واحدة ليس فيها نوى ولا ما يرمى سوى القشر فقط بل تراه كأنه قطعة جبن ناعم المضغ يسترط بسهولة واذا أنت تاملته فى ضياء الفتيل فى وسطه حبا كثيرا أصغر من الخردل يضرب الى السواد والشقرة شبيه بحب التين لكنه فى غاية اللين فهذا كأنه رسم نوى الرطب الا انه لزيادة رطوبته لان وتفرق واختلط باللحم وانساغ معه فى الاكل وله رائحة عطرة لا بأس بها فيها خمرة ما واحشا العارض لاكله بعد أخذه فى الهضم طيب الرائحة وهو حار رطب ورطوبته أزيد من حرارته وكانه حار فى الاولى رطب فى الثانية يزيد فى الباه ويدر البول ويحدث نفخا ولا يسعد فى طبعه هذا عن الرطب الا بكثرة رطوبته التى اكتسبها من القلقاس فهذا ان كان من تركيب الصناعة فقد صدق الخبر الخبر وان كان من تركيب الطبيعة فان لها أيضا تركيبات عجيبة متقنة من أصناف الحيوان والنبات فتكون الموز من جملتها وقال أبو حنيفه الموز معادنه عمان وتنبت الموزة نبات البردية لها عنقرة غليظة وورقة طويلة عريضة نحو ثلاث أذرع فى ذراعين ليست بمنخرطة على نبات السعف لكن شبه المربعة وترتفع الموزة قامة باسطة ولا تزال فراخها تنبت حولها واحدة أصغر من الاخرى فاذا أجرت وذلك ادراك موزها قطعت الام حينئذ من أصلها وتؤخذ قنوها ويطلع أكبر فراخها فيصير هو الام

www.marefa.org

وتبقى البواقى فراخا لها ولاتزال على هذا ابدالدهر ولذلك قال أشعب لابنه فيما يروى عنه الاصمعى يابنى لم لاتكون مثلى فقال أنا مثل الموز لاتصلح حتى تموت أمها

ومن نبات الموز الى أثمارها شهران وبين اطلاعها الى اجراثها أربعون يوما والموز موجود فى أوطانه السنة كلها ويكون فى القنو من أقنائها ما بين ثلاثين موزة الى خمس مائة موزة

ورأيت عند بعض تجار الهند حصرا حسنة لطيفة موشاة ذات وجهين ألوانها أحسن الالوان وأصباغها زهر خالصة كانها ألوان الحرير عرض الحصير منها نحو ذراعين ونصف وهو أسلة واحدة ليس فيه وصل فجعلت أعجب من طول الاسلة الذى يسمى بمصر السمار فذكر لى انه ليس به وانما هو متخذ من ورق الموز الهندى بأن يؤخذ العسيب فيشقق ويجفف ثم يصبغ وينسج منه هذه الحصر وتباع الحصيرة منها فى المعبر بدينارين وفيها ما يباع بدرهمين وأرانى من كلا الصنفين

وأما المحضات فيوجد بارض مصر منها أصناف كثيرة لم أرها بالعراق من ذلك الترنج حكبارى يعز وجود مثله ببغداد ومن ذلك الترنج حلو ليس فيه حماض ومن ذلك الليمون المركب وهو أصناف أيضا ويوجد فيه ما هو بقدر البطيخة ومن ذلك الليمون المختم وهو أحمر شديد الحمرة اقناؤه حمرة من النار يتوقد شديد الاستدارة مفلطح من رأسه وأسفله مفضوخ فيهما بختمين

ومن ذلك ليمون البلسم وهو فى قدر الابهام وكالبيضة المطاولة وفيه ماهو مخروط صحيح يبتدئ من قاعدته وينتهى الى نقطة وأما لونه وريحه وشحمه وحماضه فلا يغادر من الاترج شيئا

وقد يوجد اترج فى جوفه اترج بقشر أصفر أيضا وخبرنى صادق انه وجد فى جوف اترجة سبع اترجات صغار كل واحدة يحيط بها قشر تام والذى رأيته أنا اترجة فى جوفها اترجة ليست تامة وقد رأيت منه شيئا بالغور وهذا الاترج المداخل انما يكون فى ذى الحماض ثم ان هذه الانواع تركب بعضها على بعض فيتولد منها أصناف كثيرة جدا

ومن ذلك صنف من التفاح يوجد بالاسكندرية ببستان واحد يسمى بستان القطعة وهو صغار جدا فى الحمرة وأما رائحته فتفوق الوصف وتعلو على المسك وهو قليل جدا

وأما القرط فيسمى بالعراق الرطبة وبالشام الفصة وبالفارسية اسفست

وأما

www.marefa.org

وأما النخل فكثير لكن اذا قيست ثمرته بثمرة نخل العراق وجدت كأنها قد طبخت طبخة خرج بها معظم حلاوتها وبقيت ناقصة القوة وما يسميه أهل العراق القسب يسميه أهل مصر التمر وأما التمر بالعراق فيسمونه البجوة وقلما تجد عندهم ما يشابه تمر العراق الا نادرا ويكون ذلك نخيلا معدودة تهدى تحفة

وأما الماش وهو المج فلا يزرع بمصر أصلا وانما يوجد عند العطارين مجلوبا من الشام ويباع بالاوقى للمرضى وأما الذرة والدخن فلا يعرفان بمصر الا بالصعيد الاعلى وخاصة الدخن

ومما يختص به مصر الافيون وهو يجتنى من الخشخاش الاسود بالصعيد وكثيرا ما يغشه جناته وربما غشوه بالعذرة وعلامة الخالص منه ان يذوب في الشمس ويقد في السراج بلا ظلمة واذا طفي تكون رائحته قوية والمغشوش بسوس سريعا وارسطو ينهى عن خلطه بدواء العين والاذن لانه يعمي ويصم

ومن ذلك الاقاقيا وهو عصارة ورق شجر القرظ وثمره يستخرج ماؤه بالدق والعصر ويجعل في أوان مرحة تلفاء الشمس حتى يغلظ ثم يقرص هذا هو الخالص الخاص وأما العام الذي يجلب الى البلاد فانه يؤخذ القرظ فيطحن ويعجن بماء الصمغ ثم يقرص ويختم ويجفف وشجرته هي السنط وتسمى الشوكة المصرية وورقها هو القرظ بالحقيقة ويدبغ به الجلود وعصارة القرظ التي يتخذ منها الاقاقيا تسمى رب القرظ ونساء مصر يشربن عصارته وتنفعه للاسهال والسنط شجر عظام جذاله شوك كثير حديد صلب أبيض وله ثمر يسمى خروب القرظ مدور مسطوح مثل كل لحب الترمس الا انه متصل كقرون اللوبيا وفي داخله حب صغار واذا اتخذ الاقاقيا من القرظ قبل كمال نضجه كان أكثر بياضا وأقوى على حبس الطبيعة واذا اتخذ مما استحكم نضجه لم يقو على حبس البطن وعلامته ان يكون شديد السواد مشرق اللون وقال الدينوري القرظ شجر عظام كشجر الجوز وخشبه صلب كالحديد واذا قدم اسود كالابنوس وورقه يشبه ورق التفاح وله حبلة مثل قرون اللوبيا داخلها حب يوضع في الموازين ويدبغ بورقه وثمره ومنابته القيعان والجبال وحبلة القرظ أصغر من علف الطلح واذا رعته الابل احمرت أفواهها وأبوارها حتى ابعارها فيحسبها صغارا قد جمع وتسمن عليه وما كان من القرظ

www.marefa.org

بأرض مصر فهو السنط وهو ذكي الوقود قليل الرماد وله برمة صفرا ليس لها رائحة زكيه كبرم العراق

ومن ذلك القفوص وهو قثاء صغار لا يكبر ولا يعدو أطوله الفتر وأكثره في طول الاصبع وهو أنعم من القثاء وأحلى ولا شك انه صنف منه وكانه الضغابيس فأما القثد فهو الخيار

ويوجد بمصر بطيخ يسمى العبدلى والعبدلاوى قيل انه نسب الى عبد الله بن طاهر والى مصر عن المأمون وأما المزارعون فيسمونه البطيخ الدميرى منسوب الى دميرة قرية بمصر وله أعناق ملتوية وقشره خفيف وطعمه مسيخ قليلا يوجد فيه حلاوة يندر فيه ما وزنه ثلاثون رطلا وأكثر والغالب عليه ما بين رطل الى عشرة أرطال وأهل مصر يستطيبونه على البطيخ المولد المسمى عندهم بالخراسانى والصينى ويزعمون انه نافع ويأكلونه بالسكر وطعمه أشبه شئ بالصنف المسمى بالعراق الشلنق لكنه الذ منه وأنعم وشكله شكل يقطين العراق الا ان لونه حسن الصفرة جدا وفي ملمسه حراشة وتخييش وصغاره قبل أن تبلغ تكون كلون اليقطين وشكله وكطعم القثاء لها بطون وأعناق وتباع بالفقوص وتسمى البجور وأخبرنى مزارعه ان العادة جارية بأن ينقى حقله كل يوم فما يرى مزارعه ان يقطعه صغيرا أخضر قطعه وباعه بالبجور وما يرى ان يتركه حتى يكبر ويبلغ ويصفر كان منه البطيخ العبدلى وقلما تجدنى بطيخ مصر ما هو صادق الحلاوة لكنه لا يوجد فيه مدود ولا فاسد بل الغالب عليه التفاهة المائية وجميع أصناف البطيخ تباع بالميزان سوى البطيخ الاخضر وأما البطيخ الاخضر فانه يسمى بالغرب الدلاع وبالشام البطيخ الزبش وبالعراق البطيخ الزقى ويسمى أيضا الفلسطينى والهندى وأما اليقطين الذى يقصره الجمهور على الدباء فيكون بمصر مستطيلا وفي شكل القثاء ويبلغ في طوله الى ذراعين وفي قطره الى شبر

وأما الباقلى الاخضر المسمى عندهم بالفول فانه يتواصل نحو ستة أشهر وكذلك الورد واليا سمين يدوم جميع السنة لا تزال شجرته مزهرة ومنه أبيض وأصفر والابيض أكثر وأعطر ومنه يتخذ دهن الزنبق بدمياط خاصة

وكذلك الليمون واغا يقل ويكثر فقط والبنفسج بمصر عطر جدا لكن لا يحسنون اتخاذ

دهنه

www.marefa.org

دهنه ولا يجمونه والسفرجل بمصر ردى جدا صغير عفص ثقال وأما تفاحها فلا بأس به وان كان رديئا وأما رمانها ففى غاية الجودة الا انه ليس بصادق الحلاوة

وأما القراسيا فلا يوجد بمصر بل بالشام و بلاد الروم وغيرهما وانما بمصر صنف من الاجاص صغار حامض يسمونه القراسيا ومثل هذا الصنف بدمشق يسمونه خوخ الدلب لان الاجاص بالشام يسمى خوخا والخوخ دراقنا والكمثرى اباصا

ومما يكثر بمصر شجر خيار شنبر وهو شجر عظام شبيه بشجر الخروب الشامى وزهره كبير أصفر ناضر ذو رواء وبهجة فاذا عقد تدلى ثمره كالقارع الخضر وبها شجر اللوز والسدر بها كثير وثمره النبق حلو جدا والنيل يكثر بها ولكنه دون الهندى

﴿الفصل الثالث﴾

(فيما تختص به من الحيوان)

من ذلك حضانة القراريج بالزبل فانه قلما ترى بمصر قراريج عن حضان الدجاجة وربما لم يعرفوه أيضا وانما ذلك عندهم صناعة ومعيشة يتجرفيها ويكتسب منها وتجد فى كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك ويسمى الموضع معمل الفروج وهذا المعمل ساحة كبيرة يتخذ فيها من البيوت التى يأتى ذكرها ما بين عشرة أبيات الى عشرين بيتا فى كل بيت ألفا بيضة ويسمى بيت التريد

وصفته ان يتخذ بيت مربع طوله ثمانية أشبار فى عرض ستة فى ارتفاع أربعة ويجعل له باب فى عرضه سعته شبران وعقد فى مثله وتجعل فوق الباب طاقة مستديرة قطرها شبر ثم تسقف بأربع خشبات وفوقها سدة قصب يعنى نسيجا منه وفوقه ساس وهو مشاقة الكتان وحطبه ومن فوق ذلك الطين ثم يرصص بالطوب ويطين سائر البيت ظاهره وباطنه وأعلاه وأسفله حتى لا يخرج منه بخار وينبغى ان تتخذ فى وسط السقف شبا كا سعته شبر فى شبر فهذا السقف يحكى صدر الدجاجة ثم تتخذ حوضين من الطين مخمر بساس طول الحوض ستة أشبار وعرضه شبر ونصف وسمكه عقدة أصبع وحيطانه نحو أربع أصابع ويكون هذا الحوض لوحا واحدا تبسطه على أرض معتدلة وهذا الحوض يسمى الطاجن فاذا جف الطاجنان ركبتهما على طرفى السقف أحدهما على وجه الباب والآخر قبالته على الطرف الآخر تركيبا محكما وأخذت وصولهما بالطين أخذا

www.marefa.org

متقنا وينبغي ان يكون قعود الطاجنين على خشب السقف بحيث يحاسانه وهذان الطاجنان تحاكي بهما جناحا الدجاجة ثم يفرش البيت بقفة تبن ويمهد ويفرش فوقه نخ خب أو دبس يعني حصيرا برديا على مقداره سواء ثم يرصف فوقه البيض رصفا حسنا بحيث يتماس ولا يتراكب لتتواصل الحرارة فيه ومقدار ما يسع هذا البيت المفروض ألفا بيضة وهذا الفعل يسمى الترقيد

صفة الحضان تبتدئ وتسد الباب بأن ترسل عليه ابداما مهندما ثم تسد الطاقة بساس والشباك أيضا بساس وفوقه زبل حتى لا يبقى في البيت متنفس للبخار وتلقي في الطاجنين من زبل البقر اليابس قفتين وذلك ثلاث ويبسات وتقعد فيه نار سراج من جميع جهاته وتعهله ريثما يرجع رمادا وأنت تتفقد البيض ساعة بعد أخرى بأن تضعه على عينك وتعتبر حرارته وهذا الفعل يسمى الذواق فان وجدته يلذع العين قلبته ثلاث تقليبات في ثلاث دفعات تجعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله وهذا يحاكي تقليب الدجاجة للبيض بمنقارها وتفقدها اياه بعينها وهذا يسمى السماع الاول فاذا صار الزبل رمادا أزلته وتركته بلا نار الى نصف النهار ان كان ترقيده بكرة وان كان ترقيده من أول الليل حرسته الى ان تحمى وتسمع النار كالسياقة المتقدمة ثم تخلي الطاجنين من النار الى بكرة ثم تجعل في الطاجن الذي على باب البيت من الزبل ثلاثة أقداح وفي الطاجن الذي على صدر البيت قدحين ونصفا ومد الزبل بمرود غليظ واطرح في كل منهما النار في موضعين منه وكلما خرجت من البيت بعد تفقده فارخ الستر واياك وان تغفل عنه ليلا يخرج البخار ويدخل الهواء فيفسد العمل فاذا كان وقت العشاء وصار الزبل رمادا ونزل الدفء الى البيض أسفل البيت فغير الرماد من الطواجن بزبل جديد مثل الاول وأنت كل وقت تلمس البيض وتذوقه بعينك فان وجدت حرارته زائدة عن الاعتدال تلذع العين فاجعل مكان الثلاثة الاكيال لطاجن الباب كيلين وربعا وفي طاجن الصدر كيلين فقط ولا تزال تواصل تغيير الرماد وتجديد الزبل والايقاد حتى لا ينقطع الدفء مدة عشرة أيام بمقدار ما تكمل الشخوص بمشيئة الله وقدرته وذلك نصف عمر الحيوان ثم تدخل البيت بالسراج وترفع البيض واحدة واحدة وتقيمها بينك وبين السراج فالتي تراها سوداء ففيها الفرخ والتي تراها شبه شراب أصفر في زجاج لا عكر فيه فهي لاح بلا بزر وتسمى الارملة

فاخرجها

www.marefa.org

نفأخرجها فلا منفعة فيها ثم عدل البيض فى البيت بعد تنقيته وأخرج اللاح عنه وهذا الفعل يسمى التلويح ثم تصبح بعد التلويح تنقص الزبل من العيار الاول ملء كفك من كل حوض بكرة ومثله عشية حتى يتصرم اليوم الرابع عشر ولم يبق من الزبل شئ فحينئذ يكمل الحيوان ويسعر وينفخ فاقطع اذا النار عنه فان وجدته زائد الحرارة يحرق العين فافتح الطاقة التى على وجه الباب وخلها كذلك يومين ثم ذقه على عينك فان وجدته غالب الحرارة فافتح نصف الشباك وأنت مع ذلك تقلبه وتخرج البيض الذى فى الصدر الى جهة الباب والبيض الذى فى جهة الباب ترده الى الصدر حتى يحمى البارد الذى كان فى جهة الباب ويستريح الحار الذى فى الصدر بشم الهواء فيصير فى طريقة الاعتدال ساعة يحمى وساعة يبرد فيعتدل مزاجه وهذا الفعل يسمى الحضانة كما يفعل الطير سواء وتستمر على هذا التدبير دفعتين فى النهار ودفعة فى الليل الى تمام تسعة عشر يوما فان الحيوان ينطق فى البيض بقدرة الله تعالى وفى يوم العشرين يطرح بعضه ويكسر القشر ويخرج وهذا يسمى التطريح وعند تمام اثنين وعشرين يوما يخرج جميعه واحد الاوقات عاقبة لعله أمشير وبرمهات وبرمودة وذلك فى شباط واذار ونيسان لان البيض فى هذه المدة يكون غزير الماء كثير البزرة صحيح المزاج والزمان معتدل صالح للنشأ والكون وينبغى ان يكون البيض طريا وفى هذه الاشهر يكثر البيض أيضا

ومن ذلك الحمير والحمير بصر فارهة جدا وتركب بالسروج وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة ولعلها تسبقها وهى مع ذلك كثيرة العدد ومنها ما هو عال بحيث اذا ركب بسرج اختلط مع البغلات يركبه رؤساء اليهود والنصارى يبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا الى أربعين

وأما بقرهم فعظيمة الخلق حسنة الصور ومنها صنف هو أحسنها وأغلاها قيمة يسمى البقر الخيسية وهى ذوات قرون كأنها القسى غزيرات اللبن

وأما خيلها فعتاق سابقة ومنها ما يبلغ ثمنه ألف دينار الى اربعة آلاف وهم ينزون الخيل على الحمير والحمير على الخيل فتأتى البغلة وأمها اتان ولكن هذه البغال لا تكون عظيمة الخلق كالتى أمهاتها مجوزة لان الام هى التى تعطى المادة

www.marefa.org

ومن ذلك التماسيح والتماسيح كثيرة فى النيل وخاصة فى الصعيد الاعلى وفى الجنادل فانها تكون فى الماء وبين صخور الجنادل كالدود كثرة وتكون كبارا وصغارا وتنتهى فى الكبر الى نيف وعشرين ذراعا طولا وتوجد فى سطح جسده مما يلى بطنه سلعة كالبيضة تحتوى على رطوبة دموية وهى كالجفة المسك فى الصورة والطيب وخبرنى الثقة انه يندر فيها ما يكون فى علو المسك لا ينقص عنه شيأ والتمساح بيض بيضا شبيها ببيض الدجاج ورأيت فى كتاب منسوب الى ارسطو ما هذه صورته قال التمساح كبده تهيج الجماع وكليتاه وشحمه فى ذلك أبلغ ولا يعمل فى جلده الحديد ومن فقار رقبته الى ذنبه عظم واحد ولهذا اذا انقلب على ظهره لم يقدر ان يرجع قال ويبيض بيضا طويلا كالاوز ويدفنه فى الرمل فاذا أخرج كان كالحراذين فى جسمها وخلقتها ثم يعظم حتى يكون عشر أذرع وأزيد ويبيض ستين بيضة لان خلقته تجرى على ستين سنا وستين عرقا واذا سفد امنى ستين مرة وقد يعيش ستين سنة

ومن ذلك الدلفين ويوجد فى النيل وخاصة قرب تنيس ودمياط

ومن ذلك الاسقنقور ويكون بالصعيد وباسوان كثيرا ويكون من نتاج التمساح فى البر وهو صنف من الورل بل هو ورل الا انه قصير الذنب والورل والتمساح والحرذون والاسقنقور وسميكة صيد لها كلها شكل واحد وانما تختلف بالصغر والكبر والتمساح أعظمها وسميكة صيدا أصغرها تكون بقدر الاصبع وتصلح لما يصلح له الاسقنقور من تسخين الاعضاء والانعاظ وكأن التمساح وورل بحرى والورل تمساح برى والجميع بيض بيضا والسقنقور يكون بشطوط النيل ومعيشته فى البحر السمك الصغار وفى البر الغطا ونحوه ويسترط غذاه استراطا ويوجد لذكوريته خصيان كخصيى الديك وفى مقدارهما ومواضعهما وأبانه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها فى الرمل فيكمل كونها بحرارة الشمس فعلى هذا انما هو نوع برأسه وقال دسقوريذس انه يكون بنواحى القلزم وبمواضع من بلاد الهند وبلاد الحبشة ويفارق الورل مأواه فان الورل جبلى والسقنقور برى مائى لانه يدخل فى ماء النيل ثم ان ظهر الورل خشن صلب وظهر السقنقور لين ناعم ولون الورل أصفر اغبر ولون السقنقور مدبج بصفرة وسواد والمختار من الاسقنقور انما هو الذكر دون الانثى ويصاد فى الربيع لانه وقت هيجانه للسفاد فاذا

أخذ

www.marefa.org

أحذ ذبح في مكانه وقطعت أطرافه ولا يستقصى قطع ذنبه ويشق جوفه ويخرج حشوته الا كشيته وكلاه ثم يحشى ملحا ويخاط ويعلق في الظل حتى يجف ويرفع ويسقى من كلاه ومتنه وشحمه وسرته من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بماء العسل أو بطبوخ أو بصفرة بيض نيمرشت وحده أو مع بزر جير وخصى ديوك مجفف مدقوق وقد يفعل ملحه ذلك اذا خلط بالادوية البائية وقد يركب مع غيره من الادوية الان استعماله مفردا أقوى له

ومن ذلك فرس البحر وهذه توجد بأسافل الارض وخاصة ببحر دمياط وهو حيوان عظيم الصورة هائل المنظر شديد البأس يتتبع المراكب فيغرقها ويهلك من ظفر به منها وهو بالجاموس أشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرن وفي صورته صهلة تشبه صهيل الفرس بل البغل وهو عظيم الهامة هريت الاشداق حديد الانياب عريض الكلكل منتفخ الجوف قصير الارجل شديد الوثب قوى الدفع مهيب الصورة مخوف الغائلة وخبرني من اصطاده لمرات وشقها وكشف عن أعضائها الباطنة والظاهرة انها خنزير كبير وان أعضاءها الباطنة والظاهرة لا تغادر من صورة الخنزير شيئا الا في عظم الخلقة ورأيت في كتاب نيطوا ليس في الحيوان ما يضد ذلك وهذه صورته قال خنزيرة الماء تكون في بحر مصر وهي تكون في عظم الفيل ورأسها يشبه رأس البغل ولها شبه خف الجمل قال وشحم متنها اذا أذيب وأتبع بسويق وشربته امرأة أسمنها حتى تجوز المقدار وكانت واحدة ببحر دمياط قد ضربت على المراكب تغرقها وصار المسافر في تلك الجهة مغررا وضربت أخرى بجهة أخرى على الجواميس والبقر وبني آدم تقتلهم وتفسد الحرث والنسل وأعمل الناس في قتلها كل حيلة من نصب الحبائل الوثيقة وحشد الرجال باصناف السلاح وغير ذلك فلم يجد شيأ فاستدعي بنفر من المريس صنف من السودان زعموا انهم يحسنون صيدها وانها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق فتوجهوا نحوهما فقتلوهما في أقرب وقت وباهون سعي واتوا بهما الى القاهرة فشاهدتهما فوجدت جلدها أسود أجرد ثخينا جدا وطولها من رأسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهي في غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات وكذلك رقبتها ورأسها وفي مقدم فيها اثنا عشر نابا ستة من فوق وستة من أسفل المتطرفة منها نصف ذراع زايد والمتوسطة أنقص بقليل وبعد الانياب أربعة صفوف من الاسنان على خطوط مستقيمة في طول

www.marefa.org

الفم فى كل صف عشرة كامثال بيض الدجاج المصطف صفان فى الاعلى وصفان فى الاسفل على مقابلتهما واذا فغر فوها وسع شاة كبيرة وذنبها فى طول نصف ذراع زائد أصلع غليظ وطرفه كالاصبع أجرد كأنه عظم شبيه بذنب الورل وأرجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبيه بخف البعير الا انه مشقوق الاطراف باربعة أقسام وأرجلها فى غاية الغلظ وجملة جثتها كانها مركب مكبوب لعظم منظرها وبالجملة هى أطول وأغلظ من الفيل الا ان أرجلها أقصر من أرجل الفيل بكثير ولكن فى غلظها أو أغلظ منها

ومن ذلك السمكة المعروفة بالرعاد لانه من أمسكها وهى حية ارتعد رعدة لا يمكنه معها ان يمسك وهى رعدة بقوة وخدر شديد وتثقل فى الاعضاء وثقل بحيث لا يقدر ان يملك نفسه ولا ان يمسك بيده شيأ أصلا ويتراقى الخدر الى عضده وكتفه والى جنبه بأسره حين ما يلمسها أيسر لمس فى أسرع وقت وخبرنى صيادها انها اذا وقعت فى الشبكة اعترى الصياد ذلك اذا بقى بينه وبينها مقدار شبر أو اكثر من غير ان يضع يده عليها وهى اذا ماتت بطلت هذه الخاصة منها وهى من السمك الذى لا تفاليس له ولحمها قليل الشوك كثير الدسم ولها جلد ثخين فى ثخن الاصبع ينسلخ عنها بسهولة ولا يمكن أكله ويوجد فيها الصغير والكبير ما بين رطل الى عشرين رطلا وذكر من يكثر السباحة بنواحيها انها اذا نفخت بدن السابح خدر الموضع أين كان ساعة بحيث يكاد يسقط ويكثر باسافل الارض وبالاسكندرية

وأما أصناف السمك عندهم فكثيرة لانه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر الملح ولا يفى القول بنعتها لكثرة أصنافها واختلاف أشكالها وألوانها ومنها الصنف المسمى عندهم ثعبان الماء وهى سمكة كالحية سواء طولها ما بين ذراع الى ثلاث أذرع

ومنها السرب وهى سمكة تصاد من بحر الاسكندرية تحدث لاكلها أحلام ردية مفزعة ولا سيما الغريب ومن لم يعتدها والاحدوثات المضحكة فهى مشهورة

ومن ذلك الترسة وتسمى لجاة وهى سلحفاة عظيمة وزنها نحو أربعة قناطير الا ان جفنتها أعنى عظم ظهرها كالترس له أفاريز خارجة عن جسمها نحو الشبر ورأيتها بالاسكندرية يقطع لحمها ويباع كلحم البقر وفى لحمها ألوان مختلفة ما بين أخضر وأحمر وأصفر وأسود وغير ذلك من الالوان وتخرج من جوفها نحو أربع مائة بيضة كبيض الدجاج سواء

إلا

www.marefa.org

الا أنه لين القشر واتخذت من بيضها لعجة فلما جمد صار ألوانا ما بين أخضر وأحمر وأصفر شبيها بألوان اللحم ومن ذلك الدلينس وهو صدف مستدير الى الطول أكبر من الظفر ينشق عن رطوبة مخاطية بيضاء ذات نكتة سوداء يعافها الناظر وفيه مساوحة عذبة زعموا ويباع بالكيل

﴿الفصل الرابع﴾

(فى اقتصاص ماشوهد من آثارها القديمة)

اما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشئ لم أر ولم أسمع بمثله فى غيرها فاقتصر على أعجب ماشاهدته

فمن ذلك الاهرام وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها وهى كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجيزة وعلى سمت مصر القديمة وتمتد فى نحو مسافة يومين وفى بوصير منها شئ كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت فى زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب على يدى قراقوش بعض الامراء وكان خصيا رومياسامى الهمة وكان يتولى عمائر مصر وهو الذى بنى السور من الحجارة محيطا بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التى على المقطم وهو أيضا الذى بنى القلعة وانبط فيها البئرين الموجودتين اليوم وهما أيضا من العجائب وينزل اليهما بدرج نحو ثلثمائة درجة وأخذ حجارة هذه الاهرام الصغار وبنى بها القناطر الموجودة اليوم بالجيزة وهذه القناطر من الابنية العجيبة أيضا ومن أعمال الجبارين وتكون بيفا وأربعين قنطرة وفى هذه السنة وهى سنة سبع وتسعين وخمس مائة تولى أمرها من لا بصيرة عنده فسدها رجاء ان يحتبس الماء فيروى الجيزة فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت ومع ذلك فلم يرو ما رجا ان يروى وقد بقى من هذه الاهرام المهدومة قلبها وحشوتها وهى ردم وحجارة صغار لا تصلح للقناطر فلاجل ذلك تركت

وأما الاهرام المتحدث عنها المشار اليها الموصوفة بالعظم فثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط وبينها مسافات يسيرة زوايا هامتقابلة نحو المشرق واثنان منها عظيمان جدا وفى قدر واحد وبهما أولع الشعراء وشبوههما بنهدين

www.marefa.org

قد نهدا فى صدر الديار المصرية وهما متقاربان جدّا ومبنيان بالحجارة البيض وأما الثالث فينقص عنهما بنحو الربع لكنه مبنى بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد الصلابة ولا يؤثر فيه الحديد الا فى الزمن الطويل ويجده صغيرا بالقياس الى ذينك فاذا قربت منه وأفردته بالنظر هالك مرآه وحسر الطرف عند تأمله وقد سلك فى بناية الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على ممرّ الزمان بل على ممرّها صبر الزمان فانك اذا تبحرتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها والانفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها لها والملكات الهندسية قد أخرجتها الى الفعل مثلا هى غاية امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم وأذهانهم وتترجم عن سيرهم وأخبارهم وذلك ان وضعها على شكل مخروط يبتدئ من قاعدة مربعة وينتهى الى نقطة ومن خواص الشكل المخروط ان مركز ثقله فى وسطه وهو يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض فليس له جهة أخرى خارجة عنه يتساقط عليها ومن عجيب وضعه انه شكل مربع قد فوبل بزواياه مهاب الرياح الاربع فان الريح تتكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية وليست كذلك عند ما تلقى السطح

ولنرجع الى ذكر الهرمين العظيمين فان المساح ذكروا ان قاعدة كل منهما أربع مائة ذراع طولا فى مثلها عرضا وارتفاع عمودها أربع مائة ذراع وذلك كله بالذراع السودا وينقطع المخروط فى أعلاه عند سطح مساحته عشر أذرع فى مثلها وأما الذى شاهدته من حالهما فان رامیا كان معنا رمى سهما فى قطر أحدهما وفى سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة وخبرنا ان فى القرية المجاورة لها قوما قد اعتادوا ارتقاء الهرم بلا كلفة فاستدعينا رجلا منهم ورضخنا له بشئ فجعل يصعد فيها كما يرقى أحدنا فى الدرج بل أسرع ورقى بنعليه وأثوابه وكانت سابغة وكنت أمرته انه اذا استوى على سطحه قاسه بعمامته فلما نزل ذرعنا من عمامته مقدار ما كان قاس فكان احدى عشرة ذراعا بذراع اليد ورأيت بعض أرباب القياس قال ارتفاع عمودها ثلثمائة ذراع ونحو سبع عشرة ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات الاضلاع طول كل ضلع منها أربع مائة ذراع

وستون

www.marefa.org

وستون ذراعا وارى هذا القياس خطأ ولو جعل العمود أربعمائة ذراع لصح قياسه وان ساعدت المقادير توليت قياسه بنفسى وفى أحد هذين الهرمين مدخل يلجه الناس يفضى بهم الى مسالك ضيقة واسراب متنافذة وآبار ومهالك وغير ذلك مما يحكيه من يلجه ويتوغل فان ناسا كثيرين لهم غرام به وتخيل فيه فيوغلون فى أعماقه ولا بد ان ينتهوا الى ما يعجزون عن سلوكه واما المسلوك فيه المطروق كثيرا فزلاقة تفضى الى أعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناوس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب المتخذ له فى أصل البناء وانما هو منقوب نقباصودف اتفاقا وذكر ان المأمون هو الذى فتحه وجل من كان معنا ولجوا فيه وصعدوا الى البيت الذى فى أعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوا وانه مملوء بالخفافيش وأبوالها حتى يكاد يمنع السالك ويعظم فيها الخفاش حتى يكون فى قدر الحمام وفيه طاقات وروازن نحو أعلاه وكانها جعلت مسالك للريح ومنافذ للضوء وولجته مرة أخرى مع جماعة وبلغت نحو ثلثى المسافة فأغمى على من هول المطلع فرجعت برمق

وهذه الاهرام مبنية بحجارة جافية يكون طول الحجر منها ما بين عشر أذرع الى عشرين ذراعا وسمكه ما بين ذراعين الى ثلاث وعرضه نحو ذلك والعجب كل العجب فى وضع الحجر على الحجر بهندام ليس فى الامكان أصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين كأنه الورقة لا أدرى ما صنفه ولا ما هو وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذى لم أجد بديار مصر من يزعم انه سمع بمن يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جدا حتى لو نقل ما على الهرمين فقط الى صحف لكانت زهاء عشرة آلاف صحيفة وقرأت فى بعض كتب الصابئة القديمة ان أحد هذين الهرمين هو قبر أغاذيمون والآخر قبر هرميس ويزعمون انهما بنيان عظيمان وان أغاذيمون أقدم وأعظم

وانه كان يحج اليهما ويهوى نحوهما من أقطار الارض وقد وسعنا القول فى المنقول فى الكتاب الكبير فمن أراد التوسعة فعليه به فان هذا الكتاب مقصور على المشاهد

وكان الملك العزيز عثمان بن يوسف لما استقل بعد أبيه سول له جهلة أصحابه ان يهدم هذه الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر وهو ثالثة الاثافى

www.marefa.org

فاخرج اليها الحلبية والنقابين والنجارين وجماعة من عظماء دولته وامراء مملكته وأمرهم بهدمه ووكلهم بخرابه نفسه واعندها وحشروا عليها الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد بذل الجهد واستفراغ الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالاسافين والاخيال وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف له الجبال وتزلزل الارض ويغوص في الرمل فيتعبون تعبا آخر حتى يخرجوه ثم يضربون فيه الاسافين بعدما ينقبون لها موضعا ويبيتونها فيه فيتقطع قطعا فتحمل كل قطعة على الجمل حتى تلقى في ذيل الجبل وهي مسافة قريبة فلما طال ثواؤهم ونفدت نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهت عزائمهم وخارت قواهم كفوا محسورين مذمومين لم ينالوا بغية ولا بلغوا غاية بل كانت غايتهم ان شوهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة ومع ذلك فان الرائي لحجارة قد هدم يظن ان الهرم قد استؤصل فاذا عاين الهرم ظن انه لم يهدم منه شيء وانما جانب منه قد كشط بعضه وحين ماشاهدت المشقة التي يجدونها في هدم كل حجر سألت مقدم النجارين فقلت له لو بذل لكم ألف دينار على ان تردوا حجرا واحدا الى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم ذلك فاقسم بالله تعالى انهم ليعجزون عن ذلك ولو بذل لهم أضعافه

وبازاء الاهرام من الضفة الشرقية مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الاغوار متداخلة وفيها ماهو ذو طبقات ثلاث وتسمى المدينة حتى لعل الفارس يدخلها برمحه ويتخللها يوما أجمع ولا ينهيها لكثرتها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها انها مقاطع حجارة الاهرام وأمامقاطع حجارة الصوان الاحمر فيقال انها بالقرب وباسوان

وعند هذه الاهرام آثار أبنية جبارة ومغاير كثيرة متقنة وقلما ترى من ذلك شيئا الا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول

وعند هذه الاهرام باكثر من علوة صورة رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يسميه الناس أبا الهول

ويزعمون ان جثته مدفونة تحت الارض ويقتضي القياس ان تكون جثته بالنسبة الى رأسه سبعين ذراعا فصاعدا وفي وجهه حمرة ودهان أحمر طلي عليه رونق الطراة

وهو

www.marefa.org

وهو حسن الصورة مقبول لها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما وسألني بعض الفضلاء ما أعجب ما رأيت فقلت تناسب وجه أبي الهول فان أعضاء وجهه كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان أنف الطفل مثلا مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان مشوها به وكذلك لو كان أنف الرجل للصبي لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء فكل عضو ينبغي ان يكون على مقدار وهيئة بالقياس الى تلك الصورة وعلى نسبتها فان لم توجد المناسبة تشوهت الصورة والعجب من مصوره كيف قدر ان يحفظ نظام التناسب في الاعضاء مع عظمها وانه ليس في اعمال الطبيعة ما يحاكيه وينقله

ومن ذلك الآثار التي بعين شمس وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها محدقا بها مهدوما وينظهر من أمرها انها قد كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة يكون طول الصنم زهاء ثلاثين ذراعا وأعضاؤه على تلك النسبة من العظم وقد كان بعض هذه الاصنام قائما على قواعد وبعضها قاعدا بنصبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى اليوم وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلما ترى حجرا غفلا من كتابة أو نقش أو صورة وفي هذه المدينة المسلتان المشهورتان وتسميان مسلتي فرعون وصفة المسلة ان قاعدة مربعة طولها عشر أذرع في مثلها عرضا في نحوها سمكا قد وضعت على أساس ثابت في الارض ثم أقيم عليها عمود مربع مخروط يخف طوله على مائة ذراع يبتدئ من قاعدة لعل قطرها خمس أذرع وينتهي الى نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس الى ثلاث أذرع منها كالقمع وقد تزنجر بالمطر وطول المدة واخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة والمسلة كلها عليها كتابات بذلك القلم ورأيت احدى المسلتين وقد خرت وانصدعت من نصفها العظم الثقل وأخذ النحاس من رأسها ثم ان حولها من المسال شيئا كثيرا لا يحصى عددها مقادير هاعلى نصف تلك العظمى أو ثلثها وقلما تجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصا بعضها على بعض وقد تهدم اكثرها وانما بقيت قواعدها

www.marefa.org

ورأيت بالاسكندرية مسلتين على سيف البحر في وسط العمارة أكبر من هذه الصغار وأصغر من العظيمتين

وأما البرابي بالصعيد فالحكاية عن عظمها واتقان صنعتها وأحكام صوزها وعجائب ما فيها من الاشكال والنقوش والتصاوير والخطوط مع إحكام البناء وجفاء الآلات والاحجار مما يفوت الحصر وهي من الشهرة بحيث تغني عن الاطالة في الصفة

و رأيت بالاسكندرية عمود السواري وهو عمود أحمر منقط من الحجر المائع الصوان عظيم الغلظ جدا شاهق الطول لا يعدان يكون طوله سبعين ذراعا وقطره خمس أذرع وتحته قاعدة عظيمة تناسبه وعلى رأسه قاعدة أخرى عظيمة وارتفاعها عليه بهندام يفتقر الى قوة في العلم برفع الاثقال وتهر في الهندسة العملية وخبرني بعض الثقات انه قاس دوره فكان خمسا وسبعين شبرا بالشبر التام

ثم اني رأيت بشاطئ البحر مما يلي سور المدينة أكثر من أربع مائة عمود مكسرة انصافا واثلاثا حجرها من جنس حجر عمود السواري على اثلث منه أو الربع وزعم أهل الاسكندرية قاطبة انها كانت منتصبة حول عمود السواري وان بعض ولاة الاسكندرية واسمه قراجا كان واليا عن يوسف بن أيوب فرأى هدم هذه السواري وتكسيرها والقاءها بشاطئ البحر زعم ان ذلك يكسر سورة الموج عن سور المدينة أو ان يمنع مراكب العدو ان تسند اليه وهذا من عبث الولدان ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة

ورأيت أيضا حول عمود السواري من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح و بعضها مكسور و يظهر من حالها انها كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليه قبة هو حاملها وأرى انه الرواق الذي كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته من بعده وانه دار العلم الذي بناها الاسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التي حرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضي الله عنه

واما المنارة فخالها مشهور يغني عن وصفها وذكر ذوو العناية ان طولها مائتا ذراع وخمسون ذراعا

وقرأت

www.marefa.org

وقرأت بخط بعض المحصلين انه قاس العمود بقاعدته فكان اثنتين وستين ذراعا وسدس ذراع وهو على جبل طوله ثلاث وعشرون ذراعا ونصف ذراع فصارت جملة ذلك خمسا وثمانين ذراعا وثلثي ذراع وطول القاعدة السفلى اثنتا عشرة ذراعا وطول القاعدة العليا سبع أذرع ونصف ذراع وقاس أيضا المنارة فوجدها مائتي ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا وهي ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي مائة ذراع واحدى وعشرون ذراعا والطبقة الثانية مثمنة وطولها احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثالثة مدورة وطولها احدى وثلاثون ذراعا ونصف ذراع وفوق ذلك مسجد ارتفاعه نحو عشر أذرع

ومن ذلك الآثار التي بمصر القديمة وهذه المدينة بالجيزة فويق الفسطاط وهي منف التي كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقر مملكة ملوك مصر وإياها عنى بقوله تعالى عن موسى عليه السلام (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) وبقوله تعالى (فخرج منها خائفا يترقب) لان مسكنه عليه السلام كان بقرية بالجيزة قريبة من المدينة تسمى دموه وبها اليوم دير لليهود ومقدار خرابها اليوم مسيرة نصف يوم في نحوه وقد كانت عامرة في زمن ابراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام وقبلهم بما شاء الله تعالى وبعدهم الى زمن بخت نصر فانه أخرب ديار مصر وبقيت على خرابه أربعين سنة وسبب خرابها ياها ان ملكها عصم منه اليهود حين التجأوا الى مصر ولم يمكن منهم بخت نصر فقصده بخت نصر وأباد ديارها ثم جاء الاسكندر بعد ذلك واستولى عليهم وعمر بها الاسكندرية وجعلها مقر الملك ولم تزل على ذلك الى ان جاء الاسلام ففتحت على يد عمرو بن العاص وجعل مقر الملك بالفسطاط ثم جاء المعز من المغرب وبنى القاهرة وجعلها مقر الملك الى اليوم وقد ذكرنا ذلك مشروحا مفصلا في الكتاب الكبير ولنرجع الى وصف منف المسماة مصر القديمة

فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستيصال الامم اياها من تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها والاتها وأفساد أبنيتها وتشويه صورها مضافا الى ما فعلته فيها أربعة آلاف سنة فصاعدا تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم المتأمل ويحصر دون وصفه البليغ اللسن وكلما ازدته تأملا زادك عجبا وكلما ازدته نظرا زادك

www.marefa.org

طربا وهما استنبطت منه معنى أنبأك بما هو أغرب ومهما استثرت منه علما دلك على ان وراءه ما هو أعظم

فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسع أذرع ارتفاعا في ثمان ظولا في سبع عرضا قد حفر في وسطه بيت قد جعل سمك حيطانه وسقفه وأرضه ذراعين ذراعين والباقي فضاء البيت وجميعه ظاهرا وباطنا منقوش ومصور ومكتوب بالقلم القديم وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلي مطلعها وصور كثير من الكواكب والافلاك وصور الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيآت فمن بين قائم وماش ومادّ رجليه وصافهما ومستمر للخدمة وحامل آلات ومشير بها إلى ظاهر الامر انه قصد بذلك محاكاة أمور جليلة واعمال شريفة وهيآت فاضلة واشارات الى أسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثا ولم يستفرغ في صنعتها الوسع لمجرد الزينة والحسن وقد كان هذا البيت ممكنا على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفرتحتها الجهلة والحمقى طمعا في المطالب فتغير وضعه وفسد هندامه واختلف مركز ثقله وثقل بعض على بعض فتصدع صدوعا لطيفة يسيرة وهذا البيت قد كان في هيكل عظيم مبني بحجارة عاتية جافية على أتقن هندام وأحكم صنعة وفيها قواعد على عمد عظيمة وحجارة الهدم متواصلة في جميع أقطار هذا الخراب وقد بقي في بعضها حيطان مائلة بتلك الحجارة الجافية وفي بعضها أساس وفي بعضها أطلال ورأيت عقد باب شاهقا وكان حجران فقط وأزجه حجر واحد قد سقط بين يديه وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع اصبعين وفيه صداء النحاس وزنجرته فعلمت ان ذلك قيود لحجارة البناء وتوثيق لها وربطات بينها بان يجعل بين الحجرين ثم يصب عليه الرصاص وقد تتبعها الانذال المحدودون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لاجلها كثيرا من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله لقد بذلوا الجهد في استخلاصها وأبانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل في الخساسة

وأما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير وأما اتقان أشكالها وأحكام هيآتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة فمن ذلك صنم ذرعناه سوى قاعدته فكان تسعة وثلاثين ذراعا وكان مداه من جهة اليمين

الى

www.marefa.org

الى اليسار نحو عشر أذرع ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان الاحمر وعليه من الدهان الاحمر كانه لم يزده تقادم الايام الا جدة

والعجب كل العجب كيف حفظ فيه مع عظمه النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي وأنت تعلم ان كل واحد من الاعضاء الآلية والمتشابهة له في نفسه مقدار ما وله الى سائر الاعضاء نسبة ما بذلك المقدار وبتلك النسبة يحصل حسن الهيئة وملاحة الصورة فان اختل شيء من ذلك حدث من القبح بمقدار الخلل وقد أحكم في هذه الاصنام هذا النظام احكاما أي احكام فمن ذلك مقادير الاعضاء في نفسها ثم نسب بعضها الى بعض فانك ترى الصنم قد ابتدئ بانفصال صدره عن عنقه عند الترقوة بتناسب بليغ ثم تأخذ الصدر في ارتفاع الترايب الى الثندوتين فيرتفعان عما دونهما ويفرزان عن سائر الصدر بنسبة عجيبة ثم يعلوان الى حد الحلمة ثم تصور الحلمة مناسبة لتلك الصورة الهائلة ثم تنحدر الى الموضع المطمئن عند القص وفرجة الزور وزر القلب والى تحديد الاضلاع والتوائها كما هو موجود في الحيوان الحقيقي ثم تنحدر الى مقاط الاضلاع ومراق البطن والتواء العصب وعضل البطن يمينا وشمالا وتوترها وارتفاعها وانخفاض ما دون السرة مما يلي الاقراب ثم تحقيق السرة وتوتر العضل حولها ثم الانحدار الى الثنة والحالبين وعروق الحالب والخروج منه الى عظمي الوركين وكذلك تحديد انفصال الكتف واتصاله بالعضد ثم بالساعد وانفتال حبل الذراع والكوع والكرسوع وابرة المرفق ونهري مفصل الساعد من العضد وعضل الساعد ورطوبة اللحم وتوتر العصب وغير ذلك مما يطول شرحه وقد صور كف بعضها قابضا بيده على عمود قطره شبر كأنه كتاب وصورت العضون والاسارير التي تحدث في جلدة الكف مما يلي المختصر عند ما يقبض الانسان كفه وأما حسن أوجهها وتناسبها فعلى أكمل ما في القوى البشرية ان تفعله وأتم ما في المواد الجرية ان تقبله ولم يبق الا صورة اللحم والدم وكذلك صورة الاذن وحفارها وتعاريجها على غاية التمثيل والتخييل

ورأيت أسدين متقابلين بينهما أمد قريب وصورهما هائلة جدا وقد حفظ فيهما النظام الطبيعي والتناسب الحيواني مع كونهما أعظم جثة من الحيوان الحقيقي جدا جدا وقد تكسرا وردما بالتراب

www.marefa.org

ووجدنا من سور المدينة قطعة صالحة مبنية بالحجارة الصغار والطوب وهذا الطوب كبير جاف مطاول الشكل ومقداره نصف الآجر الكسروى بالعراق كما ان طوب مصر اليوم نصف أجر العراق اليوم أيضا

واذا رأى اللبيب هذه الآثار عذر العوام فى اعتقادهم على الاوائل بان أعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة أوانه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم وذلك ان الاذهان تقصر عن مقدار ما تحتاج اليه فى ذلك من علم الهندسة واجتماع الهمة وتوفر العزيمة ومصابرة العمل والتمكن من الآلات والتفرغ للاعمال والعلم بمعرفة أعضاء الحيوان وخاصة الانسان ومقاديرها ونسب بعضها من بعض وكيفية تركيبها ونصباتها ومقاديروضع بعضها من بعض فان النصف الاسفل من الانسان أعظم من النصف الاعلى منه أعنى التنور بمقدار معلوم بخلاف سائر الحيوان والانسان المعتدل طوله ثمانية أشبار بشبر نفسه وطول يده الى طى معرفقه شبران بشبره وعضده شبر وربع وهكذا جميع عظامه الصغار والكبار والقصب والسناسن والملاءمات حافظة للنظام فى مقاديرها ونسب بعضها الى بعض وكذلك سائر الاعضاء الباطنة والظاهرة كانخفاض اليافوخ عن ذروة الرأس وتنوء عماد ونه وامتداد الجبهة والجبينين وتطامن الصدغين وتنوء عظمى الوجنتين وسهولة الخدين وانخراط الاذنين المارن وانفراج المنخرين وامتداد الوترة ودقة الشفتين واستدارة الحنك وانخراط الفكين وغير ذلك مما تضيق عنه العبارة وانما يدرك بالمشاهدة وبالتشريح والتأمل وقد ذكر أرسطوطاليس فصلا فى المقالة الحادية عشرة من كتاب الحيوان له يدل على ان القوم كان لهم حذاقة واتقان لمعرفة أعضاء الحيوان وتناسبها وان جميع ما أدركوه وان جل فهو حقير تافه بالقياس الى الامر الحقيقى المطبوع وانما يستعظم ما عرفه الانسان منه بالقياس الى ضعف قوته وبالقياس الى باقى نوعه ممن يعجز عما قدر عليه كما يتعجب من النملة اذا حملت حبة شعير ولا يتعجب من الفيل اذا حمل قناطير وهذا نص كلامه باصلاحى قال (من الواجب ان نستحب علم احكام التصاوير وعمل الاصنام وافراغها وتبين حكمته ولا نستحب معرفة الاشياء المقومة بالطبيعة ولا سيما اذا قوينا على معرفة عللها راذ لك لا ينبغى لنا ان نكره النظر فى طباع الحيوان الحقير الذى ليس بكريم

ولا

www.marefa.org

ولا يثقل ذلك علينا كما يثقل على الصبيان ففي جميع الاشياء الطباعية شيء عجيب ولذلك ينبغي لنا ان نطلب معرفة طباع كل واحد من الحيوان ونعلم ان في جميعه شيئا طباعيا كريما لانه لم يطبع شيء منها على وجه الباطل ولا كما جاء واتفق ولا بالبخت بل كل ما يكون من قبيل الطباع فانما يكون لشيء أعني لحال التمام ولذلك صار له مكان ومرتبة وفضيلة صالحة فتبارك الله أحسن الخالقين

وأما باطن الحيوان وتجويفاته وما فيها من العجائب التي يشتمل على وصفها كتب التشريح لجالينوس وغيره وكتاب منافع الاعضاء له فان أيسر اليسير منه يبهت دونه المصور حسيرا ولا يجد له على ذلك ظهيرا ويعلم مصداق قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا

وأقول ان التعجب من الامور الصناعية يضاهي التعجب من الامور الطباعية لان الامور الصناعية هي بوجه ما طباعية وذلك انها حادثة عن قوى طباعية وكما ان المهندس اذا حرك ثقلا عظيما استحق ان يتعجب منه فكذلك اذا صنع صورة من خشب مثلا تحرك تلك الصورة ثقلا ما كان ذلك المهندس أحرى ان يتعجب منه

والله خلقكم وما تعملون فتبارك من ملكوته سار في عالمي الغيب والشهادة وفي أنفسكم أفلا تبصرون ونور جلاله ساطع فلا يمنعه حجاب يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ومن أشباح الموجودات بقدرته فائمة وبارادته متحركة وساكنة وبنفاذ أمره فيها فرحة وباقترابها من حضرة قدسه مبتهجة ولتكثرها تشهد بوحدانيته وبتغيرها تقر بصمديته وان من شيء الا يسبح بحمده

ولنرجع الى حديثنا الاول فنقول هذه الاصنام مع كثرتها قد تركتها الايام الا القليل منها جذاذا وغادرتها أرماما ولقد شاهدت كبيرا منها وقد نحت من صلعته رحا قطرها ذراعان ولم يظهر في صورته كبير تشويه ولا تغير بين ورأيت صنما وبين رجليه صنم متصل به صغير كأنه مولود بالقياس اليه وهو مع ذلك كأعظم رجل يكون وعليه من الملاحة والجمال ما يشوق الناظر اليه ولا يمل من ملاحظته

واتخاذ الاصنام قد كان في ذلك الزمان شائعا في الارض عاما في الامم ولذا قال تعالى في حق ابراهيم عليه السلام ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين أي

www.marefa.org

كان وحده فى زمنه موحدا فهو امة بنفسه لاعتزاله اياهم وانفراده برأى يخالف آراءهم

ولما رأى بنو اسرائيل تعظيم القبط هذه الاصنام وتبجيلهم اياها وعكوفهم عليها وألفوا ذلك وأنسوا به لطول مقامهم بينهم ثم رأوا قوما من أهل الشام عاكفين على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ولما كان النصارى معظمهم وجمهورهم أقباطا وصابئة نزعوا الى الاصل ومالوا الى سنة آبائهم القديمة فى اتخاذ التصاوير فى بيعهم وهياكل عباداتهم بالغوا فى ذلك وتفننوا فيه وربما تراءوا فى الجهالة والنوك حتى صوروا الههم والملائكة حوله بزعمهم وجميع ذلك لبقايا فيهم من سنن أوائلهم وان كان الاوائل يكبرون الاله ان يدخل تحت ادراك عقلى وحسى فضلا عن تصوير وانما سهل على النصارى ذلك واجرأهم عليه اعتقادهم الالهية لبشر وقد حققنا القول فى ذلك فى مقالاتنا عليهم

وما زالت الملوك تراعى بقاء هذه الآثار وتمنع من العيث فيها والعبث بها وان كانوا أعداء لاربابها وكانوا يفعلون ذلك لمصالح

منها انها تبقى تاريخا ينتبه بها على الاحقاب ومنها انها تكون شاهدة للكتب المنزلة فان القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها ففى رؤيتها خبر الخبر وتصديق الاثر ومنها انها مذكرة بالمصير ومنبهة على المآل ومنها انها تدل على شئ من أحوال من سلف وسيرتهم وتوفر علومهم وصفاء فكرهم وغير ذلك وهذا كله مما تشتاق النفس الى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه وأما فى زمننا هذا فترك الناس سدى وسرحوا هملا وفوضت اليهم شؤونهم فتحركوا بحسب أهوائهم وجروا نحو ظنونهم وأطماعهم وعمل كل امرئ منهم على شاكلته وبموجب سجيته وبحسب ما تسول له نفسه ويدعو اليه هواه فلما رأوا آثارا هائلة راعهم منظرها وظنوا ظن السوء بمخبرها وكان جل انصراف ظنونهم الى معشوقهم وأجل الاشياء فى قلوبهم وهو الدينار والدرهم فهم كما قيل

وكل شئ رآه ظنه قدحا ❁ وان رأى ظل شخص ظنه الساقى

فهم يحسبون كل علم يلوح لهم انه علم على مطلب وكل شق مفطور فى جبل انه يفضى الى كنز وكل صنم عظيم انه حافظ لمال تحت قدميه وهو مهلك عليه فصاروا يعملون الحيلة

فى

www.marefa.org

فى تخريبه ويبالغون فى تهديمه ويفسدون صور الاصنام افسادمن يرجو عندها المال ويخاف منها التلف وينقبون الاحجار نقب من لا يتمارى انها صناديق مقفلة على ذخائر ويسربون فى قطور الجبال سروب متلصص قد أتى البيوت من غير أبوابها وانتهز فرصة لم يشعر غيره بها

وهذه القطور منها ما يدخل حبوا ومنها ما يدخل زحفا ومنها ما يدخل سحبا على الوجوه ومنها مضائق لا ينسحب فيها الا الضرب الضئيل وأكثر ذلك انما هو قطور طبيعية فى الجبال

ومن كان من هؤلاء له مال أضاعه فى ذلك ومن كان فقيرا قصد بعض المياسير وقوى طمعه وقرب أمله بايمان يحلفها له وعلوم يزعم انه استأثر بها دونه وعلامات يدعى انه شاهدها حتى يخسر ذلك عقله وماله وما أقبح بعد ذلك ما له

ومما يقوى اطماعهم ويديم اصرارهم انهم يجدون نواويس تحت الارض فسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لفوا بأكفان من ثياب القنب لعله يكون على الميت منها زهاء ألف ذراع وقد كفن كل عضو على انفراده كاليد والرجل والاصبع فى قطع دقاق ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى يرجع كالحمل العظيم ومن كان يتتبع هذه النواويس من الاعراب وأهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان فما وجد فيه تماسكا اتخذه ثيابا وباعه للوراقين يعملون منه ورق العطارين

ويوجد بعض موتاهم فى توابيت من خشب الجميز ثخين ويوجد بعضهم فى نواويس من حجارة امارخام واما صوان وبعضهم فى أزيار مملوءة عسلا وخبرنى الثقة انهم بينما كانوا ينقبون المطالب عند الاهرام صادفوا دنا مختوما فقضوه فاذا فيه عسل فاكلوا منه فعلق فى أصبع أحدهم شعر فجذبه فظهر لهم صبى صغير متماسك الاعضاء رطب البدن عليه شئ من الحلى والجوهر وهؤلاء الموتى قد يوجد على جباههم وعيونهم وأنوفهم ورق من الذهب كالقشر وقد يوجد منه أيضا على فرج المرأة وربما وجد قشر من الذهب على جميع الميت كالغشاء وربما وجد عنده شئ من الذهب والحلى والجوهر وربما وجد عنده آلته التى كان يزاول بها العمل فى حياته وخبرنى الثقة انه وجد عند ميت منهم آلة المزين مسنا وموسى وعند آخر آلة الحجام وعند آخر آلة الحائك ويظهر من حالهم انه قد كان

www.marefa.org

من سنتهم ان يدفنوا مع الرجل آلته وماله وسمعت ان طوائف من الحبشة هذه سنتهم ويتطيرون بمتاع الميت ان يمسوه أو يتصرفوا فيه وكان لناقريب دخل الحبشة واكتسب مالا منه مائتي أوقية من الذهب وانه لما مات أكره وارجلا مصريا كان معه على أخذ ماله فاخذه ممتنا عليهم

وقد كان من سنتهم والله أعلم ان يجعل مع الميت شيء من الذهب فحبر لي بعض قضاة بوصير وهي مجاورة مدافنهم انهم نبشوا ثلاثة أقبر فوجدوا على كل ميت قشر ارقيقا من الذهب لا يكاد يجتمع وفي فيه سبيكة من الذهب فجمع السبائك الثلاثة فكان وزنها تسعة مثاقيل والحكايات في ذلك أوسع من ان يحصرها هذا الكتاب

وأما ما يوجد في أجوافهم وأدمغتهم من الشيء الذي يسمونه موميا فكثير جدا يحمله أهل الريف الى المدينة ويباع بالشيء النزر ولقد اشتريت ثلاثة أرؤس ممتلئة منه بنصف درهم مصري

وأراني بائعه جوالقا ملوءا من ذلك وكان فيه الصدر والبطن وحشوه من هذا المومياء ورأيته قد داخل العظام وتشربته وسرى فيها حتى صارت كأنها جزء منه ورأيت أيضا على قحف الرأس أثر ثوب الكفن وأثر النساجة قد انتقش فيه كما يرتسم على الشمع اذا ختمت به على ثوب

وهذا المومياء أسود كالقفر ورأيته اذا اشتد عليه حر الصيف يجري ويلصق بما يدنو منه واذا طرح على الجمر على ودخن وشممت منه رائحة القفر أو الزفت والغالب انه زفت ومر

وأما المومياء بالحقيقي فشيء ينحدر من رؤس الجبال مع المياه ثم يجمد كالقار ويفوح منه رائحة زفت مخلوط بقفر وقال جالينوس المومياء يخرج من العيون كالقار والنفط وقال غيره هو صنف من القار ويسمى حيض الجبال وهذا الذي يوجد في تجاويف الموتى بمصر لا يبعد عن طباع المومياء وان يستعمل بدله اذا تعذر

ومن أعجب ما يوجد في مدافنهم أصناف الحيوان من الطير والوحش والحشرات وقد كفن الواحد منها في كذا كذا ثوبا وهو محتاط عليه محتفظ به

وخبرني الثقة أنهم وجدوا بيتا تحت الارض محكما ففتحوه فوجدوا فيه لفائف ثياب القنب

www.marefa.org

القنب وقد تعطت فازالوها مع كثرتها فوجدوا تحتها بحلا صحيحا وأحكم تغطيه وحدثني آخرانهم وجدوا صقرا فنشروا عنه من لفائف الثياب حتى عروا فوجدوه لم تسقط منه ريشة وحكى لي مثل ذلك عن هرو عن عصفور وعن خنفساء وغير ذلك مما يطول شرحه ويحسن ذكره

وحكى لي أيضا الامير الصادق انه كان بقوص فجاءه اليه من يبحث عن المطالب فذكروا له أنهم انخسفت بهم هوة موهمة ان فيها دفينا فخرج معهم بجماعة متسلحين وحفروا فوجدوا زيرا كبيرا موثق الرأس بالجص ففتحوه بعد الجهد فوجدوا فيه كالاصابع مكفنا بخرق فحلوه فوجدوا تحتها صيرا وهو سمك صغار وقد صار كالهباء اذا نفخ طار فنقلوا الزير الى مدينة قوص بين يدى الوالى واجتمع عليه نحو مائة رجل فحلوا الجميع حتى أتوا على آخره وهو كله صير مكفن ليس فيه سوى ذلك

ورأيت أنا بعد ذلك فى مدافنهم بوصير من العجائب مالا يفى به هذا الكتاب فمن ذلك انى وجدت فى هذه المدافن مغائر تحت الارض مبنية باتقان وفيها رمم مكفنة فى كل مغارة عدد لا يحصى ومن المغائر ما هو مملوء برمم الكلاب ومنها ما هو مملوء برمم البقر ومنها ما فيه رمم السنانير والجميع مكفن بخرق القنب ورأيت شيئا من عظام بنى آدم وقد تمشق حتى صار كاللحاف الابيض لقدمه ومع ذلك فاكثر الرمم التى رأيتها صلبة متماسكة جدا يظهر عليها من الطراءة أكثر من رمم الهالكين سنة سبع وتسعين وخمس مائة الآتى ذكرها آخر كتابنا هذا ولا سيما ما كان من الرمم القديمة فقد انصبغ بالزفت أو القطران فانك تجد هاتى لون الحديد وصلابته ورزانته ورأيت من جماجم البقر ما شاء الله وكذلك جماجم الغنم وفرقت بين رؤس المعز والضأن وبين رؤس البقر والثيران ووجدت لحم البقر قد التصق بالاكفان حتى صار قطعة واحدة حمراء تضرب الى السواد ويخرج العظم من تحتها أبيض يتقلع وبعض العظام أحمر وبعضها اسود وكذلك فى عظام الآدمى ولا شك ان الاكفان كانت تبل بالصبر والقطران وتشرب به ثم يكفن بها فلذلك يصبغ اللحم ويبقيه وما نال منها العظم صبغه فاحمر واسود ووجدت فى عدة مواضع تلالا من رمم الكلاب لعله يكون فى جملتها مائة الف رأس كلب أو يزيد وذلك مما يثير الباحثين عن المطالب فان جماعة يجعلون مكاسبهم من هذه القبور وأخذ ما تتبع

www.marefa.org

لهم من الخشب والخرق وغيره واستقريت جميع المواضع الممكنة فلم أجد فيها رأس فرس ولا جمل ولا حمار فبقي ذلك في نفسي فسألت مشايخ بوصير فبادروا الى أخباري بانهم قد تقدمت فكرتهم في ذلك واستقراؤهم اياه فلم يجدوه وأكثر توابيتهم من خشب الجميز وفيه القوى الصلب ومنه ما صار في درجة الرماد وخبرني قضاة بوصير بعجائب منها انهم وجدوا ناووسا من حجر ففضوه فالفوا فيه ناووسا ففضوه فوجدوا فيه تابوتا ففتحوه فوجدوا فيه سحلية وهي سام ابرص مكفنة محتاطا عليها معتنيا بها

ووجدنا عند بوصير أهراما كثيرة منها هرم قد انهدم وبقي قلبه فقسناه من مبدأ أساسه فوجدناه لا يتقاصر عن هرمي الجيزة

وجميع ما حكيناه من أحوال مدافنهم ببوصير يوجد نحوه وأمثاله بعين شمس وبالبرابي وبغيرها

واعلم ان الاهرام لم أجد لها ذكرا في التوراة ولا في غيرها ولا رأيت أرسطو اذكرها وانما قال في السياسة كما كان من سنة المصريين البنا وللاسكندر الافروذيسي تاريخ صغير ذكر فيه اليهود والمجوس والصابئة وتعرض لشئ من أخبار القبط واما جالينوس فرأيته ذكر الاهرام في موضع واحد وجعله من هرم الشيخوخة وقال في كتاب شرح الاهوية والبلدان لبقراط فمن أراد ان يتعلم صناعة النجوم فعليه بمصر فان أهلها قد عنوا بذلك عناية تامة هذا معنى قوله وقال في كتاب عمل التشريح فمن أراد ان يشاهد كيفية تركيب العظام وهيأتها فينبغي له ان يقصد الاسكندرية ويشاهد موتى القدماء

واعلم ان القبط بمصر نظير النبط بالعراق ومنف نظيرة بابل والروم والاقاصرة بمصر نظير الفرس والاكاسرة بالعراق والاسكندرية نظيرة المدائن والفسطاط نظير بغداد والجميع اليوم يعمه الاسلام وتشمله دعوة بني العباس

(الفصل الخامس فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن)

واما أبنيتهم ففيها هندسة بارعة وترتيب في الغاية حتى انهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا عن مصلحة ودورهم افيح وغالب سكناهم في الاعالي ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة وقلما تجد منزلا الا وفيه باذاهنج وباذاهنجاتهم كبار واسعة للريح عليها

www.marefa.org

عليها تساط ويحكمونها غاية الاحكام حتى انه يغرم على عمارة الواحد منها مائة دينار الى خمس مائة وان كانت باذاهنجات المنازل الصغار يغرم على الواحد منها دينار وأسواقهم وشوارعهم واسعة وأبنيتهم شاهقة ويبنون بالحجر النحيت والطوب الاحمر وهو الآجر وشكل طوبهم على نصف طوب العراق

ويحكمون قنوات المراحيض حتى انه تخرب الدار والقناة قائمة ويحفرون الكنف الى المعين فيغبر عليها برهة من الدهر طويلة ولا يفتقر الى كسح

واذا أرادوا بناء ربع أو دار ملكية أو قيسارية استحضر المهندس وفوض اليه العمل فيعمد الى العرصة وهى تل تراب أو نحوه فيقسمها فى ذهنه ويرتبها بحسب ما يقترح عليه ثم يعمد الى جزء جزء من تلك العرصة فيعمره ويكمله بحيث ينتفع به على انفراده ويسكن ثم يعمد الى جزء آخر ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكمال الاجزاء من غير خلل ولا استدراك

وأما المسناة فيسمونها الزريبة ولهم فى بنائها اتقان حسن وصفته ان يحفر الاساس حتى تظهر النداوة وتزيز الماء فحينئذ يوضع ملبن من خشب الجيز أو نحوه على تلك الارض الندية بعد ما تمهد ويكون عرضه نحو ثلثى ذراع وقطر حلقته نحو ذراعين مثل الذى يجعل فى قعر الابار ثم يبنى عليه بالطوب والجير نحو قامتين فيصير بمنزلة التنور فيأتى الغواصون وينزلون هذه البير ويحفرونها وكلما نبع الماء نزحوه مع الطين والرمل ويحفرون أيضا تحت ذلك الملبن فكلما انخفض ما تحته وثقل بما عليه من البناء نزل وكلما نزل غاصوا عليه وحفروا تحته والبناء اثناء ذلك يبنى عليه ويرفعه ولا يزال البناء يرفع والغواص تحته يحفر وهو بثقله يغوص حتى يستقر على ارض جلدة ويصل الى الحد الذى يعرفونه فحينئذ ينتقلون الى عمل آخر مثله على سمته وعلى بعد أربع اذرع منه أو نحوها ولا يزالون يفعلون ذلك فى جميع طول الاساس المفروض ثم يبنون الاساس كالعادة بعد ردم هذه الابار فترجع أوتاد راسية للبناء وعمدا تد عمه وتوثقه

وأما حماماتهم فلم أشاهد فى البلاد اتقن منها وضعا ولا أتم حكمة ولا أحسن منظرا ومخبرا أما أولا فان أحواضها يسع الواحد منها ما بين راويتين الى أربع روايا وأكثر من ذلك تصب فيه ميزابان ماء جار وبارد وقبل ذلك تصبان فى حوض صغير جدا مرتفع

www.marefa.org

فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير وهذا الحوض نحو ربعه فوق الارض وسائره فى عمقها ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه وداخل الحمام مقاصير بابواب وفى المسلخ أيضا مقاصير لارباب التخصص حتى لا يختلطوا بالعوام ولا يظهروا على عوراتهم وهذا المسلخ بقاصيره حسن القسمة مليح البنية وفى وسطه بركة مرخمة وعليها أعمدة وقبة وجميع ذلك مزوق السقوف مفوف الجدران مبيضها مرخم الارض باصناف الرخام مجزع باختلاف الوانه وترخيم الداخل يكون أبدا أحسن من ترخيم الخارج وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفع الازاج جاماته مختلفة الالوان صافية الاصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه لانه اذا بالغ بعض الرؤساء ان يتخذ دارا لجاريته وتناهى فى ذلك لم تكن أحسن منه

وفى موقده حكمة عجيبة وذلك ان يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث يصل اليها لسان النار ويصف على أفاريزها أربع قدور رصاص كقدور الهراس لكنها أكبر منها وتتصل هذه القدور بقرب أعاليها بمجار من أنابيب فيدخل الماء من مجرى البير الى فسقية عظيمة ثم منها الى القدر الاولى فيكون فيها باردا على حاله ثم يجرى منها الى الثانية فيسخن قليلا ثم الى الثالثة فيسخن أكثر من ذلك ثم الى الرابعة فيتناهى حره ثم يخرج من الرابعة الى مجارى الحمام فلا يزال الماء جاريا وحارا بايسر كلفة وأهون سعى وأقصر زمان وهذا العمل حاكوا به فعل الطبيعة فى بطون الحيوان وطبخها الغذا فان الغذا يتنقل فى الامعاء وآلات الغذاء التى هى لكل حيوان وكلما صار الغذاء الى مصير حصل له صنف من الهضم ومقدار من النضج حتى يصل الى المعاء الاخير وقد تناهى

واعلم ان هذه القدور كل حين تحتاج الى تجديد لان النار تنقصها فتوجد القدر الاولى التى هى وعاء البارد قد نقصت أكثر من نقصان القدر التى هى وعاء الحار بمقدار بين ولذلك علة طبيعية ليس هذا موضعها

ويفرشون أرض الاتون التى هى مقر النار بنحو خمسين أردبا ملحا وهكذا يفعلون بارض الافران لان الملح من طبعه حفظ الحرارة

وأما سقفهم فكثيرة الاصناف والاشكال وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه العشيرى شكله شكل شبارة داخله الا انه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداما وشكلا قد سطح بالواح

www.marefa.org

بالواح من خشب ثخينة محكمة وأخرج منها أفاريز كالرواشن نحو ذراعين وبنى فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بابواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل فى هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ ويذهب ويدهن باحسن دهان

وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسا فى وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن وأطعمتهم وحوائجهم فى قعر المركب والملاحون تحت السطح أيضا وفى باقى المركب يقذفون به لا يعلمون شيئا من أحوال الركاب ولا الركاب يشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده واذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن أصحابه دخل المخدع واذا أراد قضاء حاجته دخل المرحاض والملاحون بمصر يقذفون الى ورائهم فهم فى قذفهم يشبهون الحمالين فى مشيهم القهقرى ويشبهون فى تحريكهم السفن من يجذب ثقلا بين يديه ويمشى به الى خلفه وأما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل نحو امامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث الملاح متجه وأما سفن مصر فهى تتحرك الى ضد الجهة التى اليها الملاح متوجه وأما أى الحالتين أسهل والبرهان عليها فموضعه العلم الطبيعى وعلم تحريك الاثقال

﴿الفصل السادس فى غرائب أطعمتها﴾

فمن ذلك النيدة وهى بمنزلة الخبيص حمراء الى السواد وهى حلوة لا فى الغاية وتتخذ من القمح بان ينبت ثم يطبخ حتى يخرج نشاه وقوته فى الماء ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ ثم يذر عليه الدقيق ويعقد ويرفع فيباع بسعر الخبز وهذه تسمى نيدة البوش وقد يطبخ ذلك الماء وحده حتى ينعقد من غير دقيق وتسمى النيدة المعقودة وهى أغلى من الاولى وأعلى

ويختصون أيضا باستخراج دهن بزر الفجل والسلجم والخس ويستصبحون به ويعملون منه الصابون وصابونهم رطب أحمر وأصفر وأخضر وبه شبهت الصابونية واليه نسبت

www.marefa.org

وأما أطبختهم فالحوامض منها والسواذج هي المعهودة أو قريبة من المعهودة
واما المحلات فغريبة وذلك انهم يتخذون الدجاج باصناف من الحلويات وسبيل ذلك ان
تسلق الدجاج ثم ترمى فى الجلاب ويلقى عليه بندق مدقوق أو فستق أو خشخاش
أو بزر رجلة أو ورد ويطبخ حتى ينعقد ثم تقبل ويرفع وتسمى هذه الاطبخة بالفستقية
والبندقية والخشخاشية والوردية وست النوبة التى تعقد ببزر الرجلة لسوادها ويتفننون
فى ذلك تفننا يحتاج الى شرح أكثر من هذا

وأما الحلويات المتخذة من السكر فاصناف كثيرة يؤدى استقصاؤها الى الخروج عن
الغرض ويحوج الى وضع كتاب مفرد وقد يتخذ منها ما يصلح لمداواة الامراض ولارباب
الحمية من المرضى والناقهين اذا ناقت أنفسهم الى الحلوى فمن ذلك خبيص اليقطين
وخبيص الجزر والوردية المتخذة بالورد والزنجبيلية المتخذة بالزنجبيل وكاقراص العود
واقراص الليمون والاقراص المسكة وغير ذلك وكثيرا ما يستعملون الفستق فى أطبختهم
وحلوائهم عوض اللوز وهو مما يفتح سدد الكبد ويتخذون منه هريسة تسمى
هريسة الفستق وهى لذيذة جدا مسمنة وموادها لحم دجاج مسلوق منسرجز وجلاب
جزءان ومثل ثمن المجموع أو تسعه فستق مقشور مهروس وكيفية عملها ان يمسح اللحم المنسر
بالشيرج ويجعل فى الدست بحيث يشم النار ويسكب عليه الجلاب ويضرب حتى ينعقد
ثم يلقى عليه الفستق ويضرب حتى يختلط ثم يرفع

ومن غريب ما يتخذونه رغيف الصينية وصفته ان يؤخذ من الدقيق الحوارى ثلاثون
رطلا بالبغدادى ويجعن مع خمسة أرطال ونصف شرحا بجمر خبز الخشكان ثم يقسم
بقسمين ويبسط أحدهما رغيفا فى صينية نحاس قد اتخذت لذلك سعة قطرها نحو أربعة
أشبار ولها عرى وثيقة ثم يعجى على الرغيف ثلاثة أرغفة مشوية محشوة الاجواف بلحم
مدقوق مقلو بالشيرج والفستق المهروس والاباويه المضرة المحارة كالفلفل والزنجبيل
والقرفة والمصطكى والكزبرة والكمون والمحلب والجوزة ونحو ذلك ويرش عليه ماء ورد
قد ديف فيه مسك ثم يجعل على الخرفان وبين خلاله اعشرون دجاجة وعشرون فروجا
وخمسون فرخا بعضه مشوى محشو بالبيض وبعضه محشو باللحم وبعضه مطجن بماء

الحصرم

www.marefa.org

الحمص أو بماء الليمون أو بنحو ذلك ثم يشوربالسنبوسك والقماقم المحشوة باللحم بعضها وبالسكر والحلوى بعضها وان شئت ان تزيده خروفا آخر تتخذه شراعا فلا بأس وكذا جبنا مقلوا فاذا نضج ذلك وصار كالقبة نضح عليه ماورد قد ديف فيه مسلك وعود ثم غطى بالقسم الثانى من العجين بعد ان يمد رغيفا ويلحم بين الرغيفين كما يلحم الخشكان بحيث لا يخرج منه نفس أصلا ثم يقرب الى رأس التنور حتى يقاسك بحينه ويبتدى فى النضج فحينئذ ترسل الصينية فى التنور بعد اسخانه ويدار ويدار ويصبر عليه ريثما ينضج الخبز ويتورد ويحمر ثم يخرج ويمسح باسفنجة فيرش عليه ماورد ومسك ويرفع للاكل وهذا الصنيع صالح ان يحمل مع الملوك وأرباب الترف الى متصيداتهم النائية ومنتزهاتهم النازحة فانه وحده جملة فيها تفصيل سهل المحمل عسر التشعث جميل المنظر مشكور الخبر يحفظ الحرارة مدة طويلة

وأما عوامهم فقلما يعرفون شيئا من ذلك وأكثر أغذيتهم الصير والعصيدة والدليس والخبز والثيدة ونحو ذلك وشرابهم المزر وهو نبيذ يتخذ من القمح ومنهم أصناف يأكلون الفأر المتولد فى الصحارى والغيطان عند انحطاط النيل ويسمونه سمانى الغيط وبالصعيد قوم يأكلون الثعابين والميتات من الحمير والدواب وأسافل الارض قد يتخذ نبيذ من البطيخ الاخضر وبدمياط يكثر اكل السمك ويطبخ بكل ما يطبخ به اللحم من الرز والسماق والمدققات وغير ذلك

(آخر المقالة الاولى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين)

www.marefa.org

﴿المقالة الثانية وهى ثلاثة فصول﴾

(الفصل الاول فى النيل وكيفية زياداته)
واعطاء علل ذلك وقوانينه

اعلم ان نيل مصر يبدو وقت نضوب مياه الارض وذلك فى شمس السرطان والاسد والسنبلة فيعلو على الارض ويقيم أياما فاذا نزل عنها حرثت وزرعت ثم يكثر الندى فى الليل جدا وبه يتغذى الزرع الى ان يستحصد ونهاية ماتدعو اليه الحاجة من الزيادة ثمانى عشرة ذراعا فان زاد على ذلك فانه يروى أمكنة مستعلية وكأنه نافلة وعلى جهة التبرع ونهاية مايزيد على جهة الندرة أصابع من عشرين ذراعا وعند ذلك تستبحر أمكنة يدوم مكث الماء عليها فتفوت زراعتها ويمور من البلاد مما عادته ان يزرع نحو مما روى مما عادته ان يشرق ولنسم الثمانية عشرة نهاية الضرورى ولنسم العشرين نهاية الافراط وكل نهاية بين هاتين فلها ابتداء يقابلها فابتداء الضرورى ست عشرة ذراعا ويسمى ماء السلطان اذ عنده يستحق الخراج ويروى به نحو نصف البلاد ويغل من القوت بمقدار مايمان أهل البلاد سنتهم جماع توسع ويروى سائر البلاد المعتادة بالرى بما زاد على ست عشرة ذراعا الى ثمانى عشرة وهذا يغل مقدار مايمير أهل البلاد سنتين فصاعدا وأما ماتقص عن ست عشرة ذراعا فيروى به ماهو دون الكفاية ولا تحصل منه ميرة سنتهم ويكون تعذر القوت بمقدار نقصانه عن ست عشرة ذراعا

وحينئذ يقال ان البلاد قد شرقت واشتقاقها من قولهم شرقت الشمس اذا طلعت وظهرت وشرقت اللحم اذا نشرته ليجف ومنه قيل أيام التشريق لان لحوم الاضاحى تشرق فيها أى تبسط ومنه أيضا قولهم شرق بالماء وبالشراب لان الماء عند الاغتصاص وانسداد الحلق يظهر ويبرز ولا يبلع ولما كانت الارض فى السنة التى لا يوفى نيلها بارزة لا يسترها الماء ولا يخفيها الغرقى شرقت ولم تغط ولم يبلها النيل ويجوز ان يكون التشريق من قولهم ريح شرقية لان الريح الشرقية والقبلية وهى الجنوب هما عندهم دليل نقص الماء وسيبه والغربية والبحرية وهى الشمال هما عندهم دليل

الزيادة

www.marefa.org

الزيادة وسببها فيكون معنى قولهم شرقت البلاد أى كثر هبوب الرياح الشرقية حتى نسفت الماء وأظهرت الارض ثم سميت الارض شرقية باسم الريح وجمعت على شراقى مثل كرسى وكراسى وبحتى وبحاتى

وأما النيل فهو فعل من نال ينال نيلا أو من نال ينول نولا يقال نولته تنويلا ونلته نولا اذا أعطيته والنيل اسم ما ينال مثل الرعى للصدر والرعى لما يرعى وليس هذا من غرضنا ولكنه أمر عرض فقلنا فيه

ثم نقص عن الست عشرة ذراعا فهو ابتداء التفريط المقابل للافراط وكنا قد سقنا فى الكتاب الكبير سنى الافراط والتفريط مذ الهجرة الى ستتنا هذه وأما هنا فانما نقتص ما شاهدناه على ما شرطنا

واتفق ان زيادة النيل بلغت فى سنة ست وتسعين وخمس مائة اثنتى عشرة ذراعا واحدى وعشرين أصبعا وهذا المقدار نادر جدا فانه لم يبلغنا مذ الهجرة الى الآن ان النيل وقف على هذا الحد قط الا فى سنة ست وخمسين وثلثمائة فانه وقف على دون هذا المقدار باربع أصابع وأما وقوفه على ثلاث عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو ست مرات فى هذه المدة الطويلة وأما أربع عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو عشرين مرة وأما خمس عشرة ذراعا فاكثر من ذلك كثيرا ونحن نسوق أحوال زيادته فى هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين وخمس مائة ثم نتبع ذلك بما حصل عندنا من علل ذلك وقوانينه فنقول ان العادة جارية ان تبتدى الزيادة من أيبب وتعظم فى مسرى وتتناهى فى توت أو بابة ثم تنحط فدخل أيبب فى هذه السنة وابتدى النيل يتحرك بالزيادة وكان قبل ذلك بنحو شهرين قد نبتت فى مائه خضرة سلقية ثم كثرت وظهرت فى رائحته دفرة كريهة وعفونة طحلبية كانه صارة السلق اذا بقى أياما حتى يعفن وجعلت منه فى وعاء ضيق الرأس فعلاه سحابة خضراء فرفعتها برفق وتركتها تجف راذا بها طحلب لا شك فيه ويبقى الماء بعد رفع هذه السحابة عنه صافيا لا خضرة فيه الا ان طعمه وريحه باقيان وتجد فيه أيضا أجساما صغارا نباتية مبثوثة كالهباء لا ترسب وصار أرباب الحمية يتجنبون شربه وانما يشربون ماء الابار واغلبته بالنار ظنا منى انه يصلح بذلك كما وصى الاطباء ان يفعل بالمياه المتغيرة فزاد طعمه وريحه كراهة ووسخا فوجدت عند ذلك ان الاجزاء النباتية التى هى مبثوثة فيه

www.marefa.org

يلطف الطبخ جوهرها فيختلط بالماء اختلاطا أشد من الاول فيظهر التغير في ريحه وطعمه أكثر ويصير ذلك بمنزلة الماء اذا طبخ فيه سلق أو فجل أو نحوه فان النار تمزج بين الماء ولطيف النبات وأما الماء الذي يصلح للطبخ وإياه قصد الاطباء فهو الذي تغيره بمخالطة أجزاء أرضية فانها تنفصل عنه بالطبخ لان الماء حينئذ يلطف فترسب فيه

ثم انه دامت خضرته أياما من رجب وشعبان ورمضان وأصبحت في شوال وكان يصحب الخضرة دود وحيوانات اجنبية وهذا التغير في الماء يكون بالصعيد أكثر لانه أقرب الى المبداء والمعدن وانتهت زيادته في الحادي عشر من توت الى اثنتي عشرة ذراعا واحدى وعشرين أصبعا ثم انحط وورد في شوال رسول ملك الحبشة ومعه كتاب يتضمن موت مطرانهم ويلتمس عوضه وذكر فيه ان مطرهم في هذه السنة ضعيف وان النيل قليل المد لذلك

وكنا اقتصصنا في ذلك الكتاب حال النيل في هذه السنة وفي السنين الخوالي رجاء ان نعثر على نسب بينها واعراض لها نقف منها على المتجددات من أحوال النيل في سني الزيادة وسني النقصان فيمكننا تقدمة المعرفة وأخذ الاهبة والانذار بالحوادث المتوقعة فان أقباط الصعيد يزعمون انهم يتكهنون على مقدار الزيادة في السنة من طين معلوم الوزن يجمعونه في ليلة معروفة ويزنونه شدوة فيجدونه قد زاد فيحكمون من مقدار زيادته على مقدار زيادة النيل وقوم يتكهنون من حمل النحل وقوم من تعسيل النحل

فرأيت الغالب من حال القاع انه اذا كان أقل من المعتاد كانت الزيادة في تلك السنة أقل من المعتاد هذا حكمه الاكثري فان أتت الخضرة في أول زيادته وقبيلها قوي الظن بضعف جريته فان طالت أيام الخضرة وضعف مقدار الزيادة قوي الظن جدا بقلته فان دامت الخضرة في أبيب اذن بقلة المد وعلل هذا ظاهرة أما كون قلة القاع دليلا على قلة الزيادة فلان المطر الذي هو علة الزيادة ينبغي ان يكون فيه من الكثرة ما يرد القاع الى الحالة المعتادة ثم يزيد عليها الزيادة المعتادة وهذه كثرة لا تفي بها أمطار كل سنة ولا توجد كل وقت مثالها ان القاع اذا كان ذراعا مثلا فينبغي ان تكون الزيادة خمس عشرة ذراعا حتى يبلغ ماء السلطان فان كان القاع ست أذرع احتاج من الزيادة الى عشر

أذرع

www.marefa.org

أذرع وكون هذا أيسر من الاول وأيضا فان جرية النيل الاصلية مادتها عيون وأما زيادته فمادتها أمطار ونقصان العيون دليل على احتراق السنة ويبس الهواء وقلة البخار فيقل المطر لذلك وأيضا فان المد الزائد على القاع أكثره في الغالب ثلاث عشرة ذراعا فاذا كان القاع ذراعا أو ذراعين ثم زاد عليه أكثر المدوهو ثلاث عشرة ذراعا لم يلحق ماء السلطان

وأما كون الخضرة دليلا على قلة الزيادة فلان النيل الماضي يغادر نقائع وغدرانا بعضها ينضب وبعضها يطحلب ويعطن ويأسن فاذا مرت بها أمطار ضعيفة اختلطت بها وصبتها الى النيل ولم يكن فيها من الكثرة ما يغلب على النقائع فيصلحها بل النقائع تغلب على الامطار المتصلة بها فتحيلها الى الفساد وينحط منها مقدار بعد مقدار ويتواصل الينا وكلما كانت الامطار أضعف وأقل كانت أيام جرية الخضرة أطول فاذا كانت أمطارا قوية غسلت تلك المستنقعات وغلبت عليها وحدرتها بسرعة مغمورة بطين تجرفه بقوتها فيخفى منظرها ويتعفى أثرها وأيضا فان الانهار الخارجة من جبل القمر تجتمع باخرى الى بركة عظيمة ذات مساحة فيصح ومن هذه البركة يخرج هذا النيل ولا شك ان هذه البركة أوهادا ثم فيطحلب ولا سيما شطوطها وصحاصيحها فاذا وقع الوسمي وجرى اليها سيوله اثارت ما في قعرها وحركت ما كان ساكنا فيها وانكسح ايضا ما في الشطوط الى الاوساط وانصب الى محل الجرية فاستحجته وأما كون الخضرة في أيب دليل النقصان فلان أيب مظنة الزيادة وغلبة الماء على هذه الاوشاب فاذا بقي على خضرته ابان زيادته اذ بقلته وهذه الاجزاء النباتية التي تصحب الماء انما هي حطام النبات المتكون في الماء وحوله كالبردى والديس والسمار والطحلب وغير ذلك فتتعفن فيه وتتصفر اجزاؤها وتنبعث معه ومما يوجب انبعاثها أيضا نقصان الماء من تلك البركة فان ماءها اذا قل اتصلت الجرية بقعرها فانسحب كدرها وراسبها واذا كانت غمرا كانت الجرية من أعلاها وصفوها فاعرف ذلك ولهذا لا تاتي هذه الخضرة الا في السنة التي يحترق فيها النيل وكلما كان احتراقه أشد كان ظهور الخضرة أكثر وفي السنة التي يكون نيلها غمرا لا يحترق لا ترى الخضرة لان كثرته لكثرة مبديه وارتفاع جريته عن مقر كدورته فاذا اجتمعت هذه الدلائل كلها أو جلها في سنة فظن ظنا قويا بان الزيادة قليلة فيها فهذه

www.marefa.org

فائدة هذا الاقتصاص وفيه فوائد أخر منها ان من يأتي بغداذا أضافوه الى ما يشاهده
يوشك ان يعثر منه على مناسبة أو دلالة أخرى على مقدار الزيادة والنقصان في كل سنة
ومنها ان أصحاب الاحكام النجومية اذا تأملوا المدد التي بين النقصانات والزيادات
واعتبروا أحوال الكواكب والاقترانات فيها وافاهم مصر وبلاد السودان وأرباب
الولايات فيها من الكواكب ومزجوا ذلك أمكن ان تقوم لهم مما يتكرر صورة تجريبية في
مقدار الزيادة والنقصان

فاني الى الآن لم أر المنجمين مصروا بذلك عناية ولم أجد عندهم ما تسكن اليه النفس سوى
كرو لا يبنى على أصل

فانه بهذا الطريق استخرج معلم أحكام النجوم وذلك انهم شاهدوا حوادث أرضية
تقترن بنصبات فلكية وحركات علوية ورصدوا ذلك فالفوه يتكرر فنسبوا تلك الحوادث
الى تلك الهيئات والنصبات فصاروا متى عثروا في تسييرهم لحركات الاشخاص العلوية
على مثل تلك النصبة والهيئة حكموا بوقوع مثل تلك الحادثة

ويروى عن أهل التجربة من قدماء الاقباط انه اذا كان الماء في اثنى عشر يوما من
مسرى اثنى عشرة أصبعا من اثنى عشرة ذراعا فهي سنة ماء والا فالماء ناقص

ورأيت بعض من شرح الثمرة لبطليوس ذكر في تفسير الكلمة الاخيرة التي يقول في
اولها النيازك تدل على جفاف الابخرة فاذا كان في جهة واحدة دلت على رياح
تعرض في تلك الجهة واذا كانت شائعة في الجهات كلها دلت على نقصان المياه
واضطراب الهواء وعلى جيوش تختلف فقال هذا المفسر انى لاذكر في سنة تسعين
وماية ان الشهب بمصر انتثرت وعمت الجو باسره فارتاع الناس لها ولم تزل تكثر فلبعض
ذلك جزء من السنة يسير حتى ظمأ الناس وبلغ نيل مصر ثلاث عشرة ذراعا واضطرب
الناس اضطرابا زالت به دولة الطولونى من مصر وانتثرت في سنة ثلاثمائة من سائر
جهات الجو فنقص النيل ايضا ووقعت همزجات واضطراب في المملكة وهذه لعمرى
دلائل قوية ولكنها عامة لجميع الاقاليم وليست خاصة بمصر فقط على انها ايضا قد وقع
هذا الحادث بعينه في سنتنا هذه من تناثر الكواكب في اولها ونشيش الماء في آخرها
وتغير ملك مصر فيها بعد الملك العادل بعد حرب كانت بينهما

)*(

www.marefa.org

﴿ الفصل الثانى فى حوادث سنة سبع وتسعين وخمس مائة ﴾

ودخلت سنة سبع مفترسة أسباب الحيوة وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الاسعار وقحطت البلاد وأشعر أهلها البلاء وهربوا من خوف الجوع وانضوى أهل السواد والريف الى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا فى البلاد أيادى سبا ومزقوا كل ممزق ودخل الى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت وعند نزول الشمس الحمل وبرد الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والارواث ثم تعدوا ذلك الى ان أكلوا لحوم بنى آدم فكثيرا ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشوية أو مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والآكل

ورأيت صغيرا مشويا فى قفة وقد أحضر الى دار الوالى ومعه رجل وامرأة زعم الناس انهما أبواه فامر باحراقهما

ووجد فى رمضان بمصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم فاكل وبقى قفصا كما تفعل الطباخون بالغنم ومثل هذا أدوزحا لينوس مشاهدته ولذلك تطلبه بكل حيلة وكذلك كل من أثر الاطلاع على علم التشريح وحين ماتشم الفقراء فى أكل بنى آدم كان الناس يتناقلون أخبارهم ويفيضون فى ذلك استقظاعا لامره وتعجبا من ندوره ثم اشتد قرمهم اليه ونمرانهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطيبة ومدخرا وتفننوا فيه وفشا عنهم وجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينئذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسماع له

ولقد رأيت امرأة مشجبة يسحبها زعاع فى السوق وقد ظفر معها بصغير مشوى تأكل منه وأهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شؤونهم لم أر فيهم من يتعجب لذلك أو ينكره فعاد التعجب منهم اشد وما ذلك الا لكثرة تكرره عن احساسهم حتى صار فى حكم المألوف الذى لا يستحق ان يتعجب منه

ورأيت قبل ذلك بيومين صبيا تمزق مشويا وقد أخذ به شابان أقرا بقتله وشيه وأكل بعضه

www.marefa.org

وفى بعض الليالى بعيد صلوة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير فبينما هو الى جانبها اهتبلت غفلتها عنه صعلوكة فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نيا وحكى لى عدة نساء انه يتوثب عليهن لاقتناص أولادهن ويحامين عنهم بجهدهن

ورأيت مع امرأة فطيما لحيما فاستحسنته وأوصيتها بحفظه فحكت لى انها بينما تمشى على الخليج انقض عليها رجل حاف ينازعها ولدها فتراميت على الولد نحو الارض حتى أدركها فارس وطرده عنها وزعمت انه كان يهم بكل عضو يظهر منه ان يأكله وان الولد بقى مدة مريضا الشدة تجاذبه المرأة والمفترس

وتجد أطفال الفقراء وصبيانهم ممن لم يبق له كفيل ولا حارس منبثين فى جميع أقطار البلاد وأزقة الدروب كالجراد المنتشر ورجال الفقراء ونساءهم يتصيدون هؤلاء الصغار ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم فى الندرة واذا لم يحسنوا التحفظ

وأكثر ما كان يطلع من ذلك مع النساء وما أظن العلة فيه الا ان النساء أقل حيلة من الرجال وأضعف عن التباعد والاستتار ولقد أحرق بمصر خاصة فى أيام يسيرة ثلاثون امرأة كل منهن تقر انها اكلت جماعة فرأيت امرأة قد أحضرت الى الوالى وفى عنقها طفل مشوى فضربت أكثر من مائتى سوط على ان تقر فلا تخبر جوابا بل تجدها قد انخلعت عن الطباع البشرية ثم سحبت فماتت على مكان

واذا أحرق آكل أصبح وقد صار ما كولا لانه يعود شواء ويستغنى عن طبخه

ثم فشا فيهم أكل بعضهم بعضا حتى تفانى أكثرهم ودخل فى ذلك جماعة من المياسير والمساتير منهم من يفعله حاجة ومنهم من يفعله استطابة

وحكى لنا رجل انه كان له صديق أدقع فى هذه النازلة فدعاه صديقه هذا الى منزله ليأكل عنده على ما جرت به عادتهما قبل فلما دخل منزله وجد عنده جماعة عليهم رثاثة الفقر وبين أيديهم طبيخ كبير اللحم وليس معه خبز فرابه ذلك وطلب المرحاض فصادف عنده خزانة مشحونة برمم الآدمى وباللحم الطرى فارتاع وخرج فارا

وظاهر من هؤلاء الخبثاء من يتصيد الناس باصناف الحبائل ويجتلبونهم الى مكامنهم بانواع المخاتل وقد جرى ذلك لثلاثة من الاطباء مر ينتابنى أما أحدهم فان أباه خرج فلم يرجع وأما الآخر فان امرأة أعطته درهمين على ان يصحبها الى مريضها فلما توغلت به

مضائق

www.marefa.org

مضائق الطرق استراب وامتنع عنها وشنع عليها فتركت دورهما وانسلت وأما الثالث فان رجلا استقبله الى مريضه في الشارع بزعمه وجعل في اثناء الطريق يصدق بالكسر ويقول اليوم يغتنم الثواب وتتضاعف الاجور بمثل هذا فليعمل العاملون ثم كثر حتى ارتاب منه الطبيب ومع ذلك فحسن الظن يغلبه وقوة الطمع تجذبه حتى أدخله دارا خربة فزاد استشعاره وتوقف في الدرج وسبق الرجل فاستفتح فخرج اليه رفيقه يقول له هل معك أبطال حصل صيد ينفع فخرع الطبيب لما سمع ذلك والقى نفسه الى اصطبل من طاقة صادفها لسعادته فقام اليه صاحب الاصطبل يسأله عن قضيته فاخفاها عنه خوفا منه أيضا فقال قد علمت حالك فان أهل هذا المنزل يذبحون الناس بالحتل

ووجد باطبيخ عند عطار عدة خوابي مملوءة بلحم الآدمي وعليه الماء والملح فسألوه عن علة اتخاذه والاستكثار منه فقال خفت اذا دام الجدب ان يهزل الناس

وكان جماعة من الفقراء قد آووا الى الجزيرة وسترا بيوت طين يتصيدون فيها الناس فقطن لهم وطلب قتلهم فهربوا ووجد في بيوتهم من عظام بني آدم شئ كثير وخبرني الثقة ان الذي وجد في بيوتهم أربع مائة جمجمة

ومما شاع وسمع من لفظ الوالي ان امرأة أتته سافرة مذعورة تذكر انها قابلة وان قوما استدعوها وقدموا لها صحنا فيه سكباج محكم الصنعة مكمل التوابل فالفته كثير اللحم بيانا اللحم المعهود فتقززت منه ثم وجدت خلوة ببنت صغيرة فسألتها عن اللحم فقالت ان فلانة الحمية دخلت لتزورنا فذبحها أبي وهذه معلقة أربا فقامت القابلة الى الخزانة فوجدتها أربا يرحم فلما قصت على الوالي القصة أرسل معها من هجم الدار وأخذ من فيها وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه في خفية بثلثمائة دينار ليحقن بذلك دمه

ومن غريب ما حدث من ذلك ان امرأة من نساء الاجناد ذات مال ويسار كانت حاملا وزوجها غائب في الخدمة وكان يجاورها صعاليك فسمت عندهم رائحة طبخ فطلبت منه كما من عادة الحبالى فالفته لذيذا فاستزادتهم فزعموا انه نفد فسألتهم عن كيفية عمله فاسروا اليها انه لحم بني آدم فواطأتهم على ان يتصيدوا لها الصغار وتجزل لهم العطاء فلما تكرر ذلك منها وضريت وغلبت عليها الطباع السبعية وشي بها جوارها خوفا منها

www.marefa.org

فهجم عليها فوجد عندها من اللحم والعظام ما يشهد بصحة ذلك فحبست مقيدة وأرجئ قتلها احتراما لزوجها وأبقاء على الولد في جوفها

ولو أخذنا نقص كل ما نرى ونسمع لوقعنا في التهمة أو في الهذر وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعناه مظانه وانما هو شيء صادفناه اتفاقا بل كثيرا ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره

وأما من يتحين ذلك بدار الوالي فانه يجد منه أصنافا تحضر مع آناء الليل والنهار وقد يوجد في قدر واحد اثنان وثلاثة وأكثر ووجدت في بعض الأيام قدرا فيها عشر أيد كما تطبخ أكارع الغنم ووجدت مرة أخرى قدرا كبيرة وفيها رأس كبير وبعض الأطراف مطبوخا بقمح وأصناف من هذا الجنس تفوت الاحصا

وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع في حبالتهم شيخ كتبي بدين ممن يتبيعنا الكتب فافلت بحريعة الذقن

وكذلك بعض قوام جامع مصر وقع في حبالة قوم آخرين بالقرافة فتداركه الناس فخلص من الوهق وله حصاص وأما من خرج عن أهله فلم يرجع اليهم فخلق كثير

وحكى لي من أثق به انه اجتاز على امرأة بخربة وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهي تأكل من أفخاذه فأنكر عليها فزعمت انه زوجها وكثيرا ما يدعى الأكل ان المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك ورؤي مع عجوز صغيرا تأكله فاعتذرت بان قالت انما هو ولد ابنتي وليس بأجنبي مني ولان أكله أنا خير من أن يأكله غيري

وأشباه هذا كثير جدا حتى انك لا تجد أحدا في ديار مصر الا وقد رأى شيئا من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء في خدورهن

ومما شاع أيضا نبش القبور وأكل الموتى وبيع لحومهم

وهذه البلية التي شرحناها وجدت في جميع بلاد مصر ليس فيها بلد الا وقد أكل فيه الناس أكلا ذريعا من أسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي

وخبرني بعض أصحابي وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذلك وأعجب ما حكى لي انه عاين أرؤس خمسة صغار مطبوخة في قدر واحدة بالتوابل الجيدة

وهذا

www.marefa.org

وهذا المقدار من هذا الاقتباس كاف فانى وان كنت قد اسهبت اعتقد انى ما قصرت

وأما القتل والفتك فى النواحى فكثير فاش فى كل فج ولاسيما طريق الفيوم والاسكندرية وقد كان بطريق الفيوم ناس فى مراكب يرخصون الاجرة على الركاب فاذا توسطوا بهم الطريق ذبحوهم وتساهموا اسلابهم وظفر الوالى منهم بجماعة مثل بهم وأقر بعضهم عندما أوجع ضربا ان الذى خصه دون رفقائه سنة آلاف دينار

وأما موت الفقراء جوعا فامر لا يطيق علمه الا الله سبحانه وتعالى وانما نذكر منه كالانموذج يستدل به اللبيب على فظاعة الامر

فالذى شاهدناه بمصر والقاهرة وما تاخم ذلك ان المشاشى أين كان لا يزال يقع قدمه أو بصره على ميت أو من هو فى السياق أو على جمع كثير بهذه الحال وكان يرفع من القاهرة خاصة الى المارستان كل يوم ما بين مائة الى خمس مائة وأما مصر فليس لموتاها عدد ويرمون ولا يوارون ثم بآخرة تعجز عن رميهم فبقوا فى الاسواق وبين البيوت والدكاكين وفيها والميت منهم قد تقطع والى جانبه الشواء والخباز ونحوه

وأما الضواحى والقرى فانه هلك أهلها قاطبة الا ما شاء الله وبعضهم انجلى عنها اللهم الا الامهات والقرى الكبار كقوص والاشمونين والمحلة ونحو ذلك ومع هذا أيضا فلم يبق فيها الا اقل القسم وان المسافر ليمر بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضرمة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى متقابلين بعضهم قد رمم وبعضهم طرى وربما وجد فى البيت أساسه وليس له من يأخذه

حدثنى ذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعضد به قول الآخر قال أحدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيوانا من الارض ولا فى السما فتحدثنا البيوت فالقينا أهلها كما قال الله (عز وجل) (جعلناهم حصيدا خامدين) فتجد ساكن كل دار موتى فيها الرجل وزوجه وأولاده قال ثم انتقلنا الى بلد آخر فذكر لنا انه كان فيه أربع مائة دكان للحياكة فوجدنا ها كما تى قبلها فى الخراب وان الحائك فى بيت حياكته ميت وأهله موتى حوله

www.marefa.org

فخفرني قول الله تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون) قال ثم انتقلنا الى بلد آخر فوجدناه كالذى قبله ليس به أنيس وهو مشحون بموت أهله قال واحتجنا الى الاقامة به لاجل الزارعة فاستاجرنا من ينقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة بدرهم قال ولكن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترتع فى لحوم أهلها

ومن عجيب ماشاهدت انى كنت يوما مشرفا على النيل مع جماعة فاجتاز علينا فى نحو ساعة نحو عشرة موتى كانهم القرب المنفوخة هذا من غير ان تتقصد رؤيتهم ولا احطنا بعرض البحر وفى غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فرأينا أشلاء الموتى فى الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن جبير بانابيش العنصل وخبرت عن صياد بفرضة تنيس انه مر به فى بعض نهار اربع مائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر الملح

وأما طريق الشام فقد تواترت الاخبار انها صارت مزرعة لبنى آدم بل محصدة وانه عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان كلابهم التى حميتهم من منجلاهم هى التى تأكل فيهم

وأول من هلك فى هذه الطريق أهل الحوف عندما انتجعوا الى الشام وانتشروا فى هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس ولم تزل تتواصل هلكاهم الى الآن وانتهى انتجاعهم الى الموصل وبغداد وخراسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا فى البلاد كل ممزق

وكثيرا ما كانت المرأة تملص من صبيتها فى الزحام فيتضورون حتى يموتوا

واما بيع الاحرار فشاع وذاع عند من لا يراقب الله حتى تباع الجارية الحسناء بدراهم معدودة وعرض على جاريتان مراهقتان بدينار واحد ورأيت مرة اخرى جاريتين احداهما بكر ينادى عليهما احد عشر درهما

وسألتنى امرأة ان أشترى ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فعرفتها ان ذلك حرام فقالت خذها هدية وكثيرا ما يترامى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بان يشتروهم أو يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سبيهم الى العراق وأعماق خراسان وغير ذلك

وأعجب

www.marefa.org

وأعجب من جميع ما اقتصصناه ان الناس مع ترادف هذه الايات عاكفون على أصنام شهواتهم لا يرعوون مغمسون في بحر ضلالاتهم كانهم هم المستثنون من ذلك اتخاذهم بيع الاحرار متجرا ومكتسبا ومنه عهارهم بهولاء النسوة حتى ان منهم من يزعم انه اقتض خمسين بكرا ومنهم من يقول سبعين كل ذلك بالكسر

وأما خراب البلاد والقرى وخلو المساكن والدكاكين فهو مما يلزم هذه الجملة التي اقتصصناها وناهيك ان القرية التي كانت تشتمل على زهاء عشرة آلف نسمة تمر عليها فتراها دمنة وربما وجد فيها نفر ور بما لم يوجد وأما مصر فخلا معظمها وأما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما ناخم ذلك فلم يبق فيها بيت مسكون أصلا بعدما كان كل قطر منها قدر مدينة من زحمة من الناس حتى ان ارباع والمساكن والدكاكين التي في سرة القاهرة وخيارها أكثرها خال خراب وان ربعا من أعمره وضع بالقاهرة فيه نيف وخمسون بيتا كلها خالية سوى أربعة أبيات اسكنت من يحرس الموضع

ولم يبق لاهل المدينة وقود في تنانيرهم وافرانهم وبيوتهم الا خشب السقوف والابواب والزروب

ومما يقضي منه العجب ان جماعة من الذين مازالوا محدودين سعدوا في دنياهم هذه السنة فمنهم من أثرى بسبب متجرة في القمح ومنهم من أثرى بسبب مال انتقل اليه بالارث ومنهم من حسنت حاله لا بسبب معروف فتبارك من بيده القبض والبسط ولكل مخلوق من عنايته قسط

وأما خبر النيل في هذه السنة فانه احترق في برمودة احتراقا كثيرا وصار المقياس في أرض جرز وانحسر الماء عنه نحو الجيزة وظهر في وسطه جزيرة عظيمة طويلة ومقطعات أبنية وتغير الماء في ريحه وطعمه ثم تزايد التغير ثم انكشف أمره عن خضرة طحلبية كلما تطاولت الايام ظهرت وكثرت كالتي ظهرت في أبيب من السنة الخالية ولم تزل الخضرة تتزايد الى آخر شعبان ثم تناقصت الى ان ذهبت وبقي في الماء اجزاء نباتية منبثة فقط وطاب طعمه وريحه ثم أخذ في رمضان تنمى وتقوى جريته الى اليوم السادس عشر منه فقاس فيه ابن أبي الرداد قاع البركة فكان دراعين وأخذ في زيادة ضعيفة أضعف من

www.marefa.org

السنة الخالية ولم يزل في زيادة ضعيفة الى ثامن ذي القعدة وهو السابع عشر من مسرى فزاد أصبعا ثم وقف ثلاثة أيام فأيقن الناس بالبلاء واستسلموا للهلكة ثم أخذ في زيادات قوية أكثرها ذراع الى ثالث ذي الحجة وهو السادس من توت فبلغ خمسة عشر ذراعا وستة عشر أصبعا ثم انحط من يومه وانهزم على ذوره وعمس بعض البلاد تحلة القسم فكأنما زارها طيف خياله في الحلم

وانما انتفع به ما كان من البلاد مطمئنا فاروى المنخفضات كالغربية ونحوها ونيران القسري خالية عن فلاح أو حرات أصلا فهم كما قال الله تعالى (لا ترى الا مساكنهم) وانما أرباب الجدات يجمعون شدادهم ويلتقطون افرادهم وقد عز الحراث والبقر جدا حتى يتباع الثور الواحد بسبعين دينارا والهزيل بدون ذلك

وكثير من البلاد ينحسر عنه الماء بغير حقه ولغير وقته اذ ليس بها من يمسك الماء ويحبسه فيها فتبور لذلك مع ريها وكثير مما روى يبور لعجز أهله عن تقاويه والقيام عليه وكثير مما زرع أكلته الدودة وكثير مما سلم منها اضوى وعطب

ونهاية سعر القمح في هذه السنة خمسة دنانير الاردب والفول والشعير بأربعة دنانير وأما بقوص والاسكندرية فبلغ ستة دنانير

ومن الله سبحانه يرجى الفرج وهو المتيح للخير بمنه وجوده

﴿الفصل الثالث في حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائة﴾

ودخلت هذه السنة والاحوال التي شرحناها في السنة الخالية على ذلك النظام أو في تزايد الى زهاء نصفها فتناقص موت الفقراء لقلتهم لا لارتفاع السبب الموجب وتناقص أكل بني آدم ثم انقطع خبره أصلا

وقل خطف الاطعمة من الاسواق وذلك لفناء الصعاليك وقلتهم من المدينة وانحطت الاسعار حتى عاد الاردب بثلاثة دنانير لقلة الآكلين لا لكثرة المأكول وخفت المدينة بأهلها واختصرت واختصر جميع ما فيها على تلك النسبة وألف الناس الغلاء واستمروا على البلاء حتى عاد ذلك كأنه مزاج طبيعي

وحكى

www.marefa.org

وحكى لى انه كان بمصر تسع مائة منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر منسجا وقس على هذا سائر ما يجرت العادة ان يكون بالمدينة من باعة وخبازين وعطارين واساكفة وخياطين وغير ذلك من الاصناف فانه لم يبق من كل صنف من هؤلاء الا نحو ما بقى من الحصريين أو اقل من ذلك

وأما الدجاج فعدم رأسا ولا انه جلب منه شئ من الشأم وحكى لى ان رجلا مصريا شارف الفقر فالهم ان اشترى من الشأم دجاجا بستين دينارا وباعها بالقاهرة على القماطين بنحو ثمانى مائة دينارا ولما وجد البيض يبيع بيضة بدرهم ثم بيضتين ثم ثلاثا ثم اربعا واستمر على ذلك واما الفراريج فبيع الفروج بمائة درهم ولبث برهة يباع الفروج بدينار فصاعدا

وأما الافران فانما توقد باخشاب الدور فيشترى الفران الدار بالثمن البخس ويقسد زروبه وأخشابها يا ما ثم يشترى آخر وربما كان فيهم من تنشط نفسه لذلك فيخرج ليلا يجوس خلال الديار فيحتطبها ولا يجد زاعرا

وكثيرا ما تقفر الدار بما لكها ولا يجد لها مشتريا فيفصل اخشابها وأبوابها وسائر آلاتها فيبيعها ثم يطرحها مهدومة وكذلك أيضا يفعلون بدور الكرا

وأما الهلالية ومعظم الشارع ودور الخليج وحارة الساسة والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها أنيس وانما ترى مساكنهم خاوية على عروشها وكثيرا من أهلها ماوتى فيها ومع ذلك فالقاهرة بالقياس الى مصر فى غاية العمارة وأهلها فى غاية الكثرة

وأما الضواحى وسائر البلاد فيباب رأسا حتى ان المسافر يسير فى كل جهة أياما لا يصادف حيوانا الا الرمم ما خلا البلاد الكبار كقوص واخميم والمحلة ودمياط والاسكندرية فان فيها بقايا واما ما عدا هذه وأمثالها فان البلد الذى كان يحتوى على ألوف خال او كالخالى

واما الاملاك ذوات الاجر المعتبرة فان معظمها خلا ولم يبق دأب أهلها الا حراستها بسد ابوابها وتحصين مسالقها او اسكانها من يحرسها باجرة اللهم الا ما كان من الملك فى قصبة المدينة فان بعضه مسكون بأخف أجرة وأعرف ربعا فى اعمره وضع بالمدينة

www.marefa.org

كانت اجرته في الشهر مائة وخمسين دينارا فعادت في هذه السنة الى ثمانية وعشرين دينارا وآخر في مثل موضعه كانت أجرته في الشهر ستة عشر دينارا فعادت الى فويق الدينار وجميع ما نذكره على هذا القياس أو نحوه

والذي دخل تحت الاحصاء من المرتى من كفن وجرى له اسم في الديوان رحمه الله في مدة اثنين وعشرين شهرا أولها شوال من سنة ست وتسعين وآخرها رجب من سنة ثمان وتسعين مائة ألف نفس واحد عشر ألفا الا احادا وهذا مع كثرة نزوح جنب الذين هلكوا دورهم وفي اطراف المدينة واصول الميطان وجميع ذلك نزر في جنب من هلك بمصر وما تاخمها وجميع ذلك نزر في جنب من أكل في البلدين وجميع ذلك نزر جدا في جنب من هلك أو أكل في سائر البلاد والنواحي والطرقات بمناسبة طريق الشام فانه لم يرد أحد من ناحية فسألته عن الطرق الا ذكر أنها مزرعة بالاشلاء والرمم وهكذا ما سلكته منها

ثم انه وقع بالفيوم والغربية ودمياط والاسكندرية موتان عظيم ووباء شديد ولا سيما عند وقت الزراعة فلعلة يموت على المحراث الواحد عدة فلاحين حكى لنا ان الذين بذروا غير الذين حرثوا وكذلك الذين حصدوا

وباشر نا زراعة لبعض الرؤساء فارسل من يقوم بامر الزراعة فجاء الخبر بموتهم أجمعين فارسل عوضهم فمات اكثرهم هكذا مرات في عدة جهات

وسمعنا من الثقات عن الاسكندرية ان الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركة واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثا وان طائفة كبيرة من أهلها تزيد على عشرين ألفا انتقلوا الى برقة وأعمالها فمر وها وقطنوها وهذه برقة كانت مملكة عظيمة وخربت في زمن اليازوري وعلى يديه وكان وزيرا ظالما فجلى عنها أهلها وسكن كثير منهم بالاسكندرية وكأن هذا الحادث تقاص في الطبيعة

ومن عجيب ما اتفق لشيخ من أطبائنا وهو معمر ممن يتتابى سوى من سبق ذكرهم ان استدعاه رجل من زبونه ذو شارة وشهرة بستر ودين وجدة فلما حصل في المنزل أغلق الباب ووثب عليه فجعل في عنقه وهقا ومرث المريض تمشيه غير انه لم يكن لهما

معرفة

www.marefa.org

معرفة بالقتل فطالت المناوشة وعلا ضجيجه فتسامع الناس ودخلوا فخلصوا الشيخ من يده ورفق يسير وقد كسرت ثنيتاه وحمل الى منزله مغشيا عليه واحضر الفاسق الى الوالي فسأله ما حملك على ما فعلت فقال الجوع فضربه ونفاه

واتفق سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان وهو الخامس والعشرون من بشنس ان حدثت زلزلة عظيمة اضطرب لها الناس فهبوا من مضاجعهم مدهوشين وضجوا الى الله سبحانه واثبت مدة طويلة وكانت حركتها كالغربلة أو كخفق جناح الطائر وانقضت على ثلاث رجفات قوية مادت بها الابنية واصطفقت الابواب وصرصرت السقوف والاخشاب وتداعى من الابنية ما كان واهيا أو مشرفا عاليا ثم عاودت في نصف نهار يوم الاثنين الا انها لم يحس بها أكثر الناس لخفائها وقصر زمانها وكان من هذه الليلة برد شديد يحوج الى دثار خلاف العادة ومن نهار ذلك اليوم تبدل بحر شديد يوم مفرط يضيق الانفاس ويأخذ بالكظم وقلما تحدث زلزلة بمصر بهذه القوة

ثم تحدثت الاخبار تترا بحدوث الزلزلة في النواحي النائية والبلاد النازحة في تلك الساعة بعينها بالليل الذي سمع عندي أنها حركت في ساعة واحدة طائفة من الارض من قوص الى دمياط والاسكندرية ثم بلاد الساحل بأسرها والشام طولا وعرضا وتعفت بلادا كثيرة بحيث لم يبق لها أثر وهلك من الناس خلق عظيم لا يحصى ولا أعرف في الشام بلدا أحسن سلامة من القدس فانها لم تتلف فيها الا بالا يسير وكانت تكاد الزلزلة ببلاد الافرنج أكثر منها ببلاد الاسلام كثيرا

ومن العجائب ان الزلزلة وصلت الى الخليج وخرجت الى الجزيرة فرمى ماء البحر بالعظم وتموج وتشوش بعضه على بعض كالقدر التي توضع على النار وعادت المراكب على الارض وقذفت سمكا كثيرا على ساحله

ثم وردت كتب من الشام ومن غيرها تتضمن خبر الزلزلة ومما اتصل بي من ذلك كتابان اوردتهما بلفظهما

www.marefa.org

(نسخة الكتاب الوارد من حماة)

ولما كان سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان حدثت زلزلة كادت الارض تسير سيرا والجبال تمور مورا وما ظن أحد من الخلق الا أنها زلزلة الساعة وأتت دفعتين في ذلك الوقت أما الدفعة الاولى فاستمرت مقدار ساعة أو تزيد عليها وأما الثانية فكانت دونها ولكن أشد منها وتأثر منها بعض القلاع فأولها قلعة حماة مع اتقانها وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعلبك مع قوتها ووثاقتها

ولم يرد عن البلاد الشاسعة والقلاع النازحة الى الآن ما اذكره

ثم حدثت في يوم الثلاثا السابع والعشرين منه عند صلاة الظهر زلزلة استوى في علمها اليقظان والنائم وتزعزع لها القاعد والقائم ثم حدثت في هذا اليوم أيضا وقت صلاة العصر ووصل الخبر من دمشق بأن الزلزلة افسدت فيها منارة الجامع الشرقية وأكثر الكلاسة والبيمارستان جميعه وعدة مساكن تساقطت على أهلها فهلكوا

(نسخة الكتاب الوارد من دمشق)

المملوك ينهي حدوث زلزلة ليلة الاثنين سادس وعشرين شعبان وقت انفجار الفجر وأقامت مدة قال بعض الاصحاب انها مقدار ما قرأ سورة الكهف وذكر بعض المشايخ بدمشق انه لم يشاهد مثلها فيما تقدم ومما أثرت في البلد سقوط ست عشرة شرافة من الجامع واحدى الموازن وتشقق أخرى وقبة الرصاص يعني النسر انخساف الكلاسة ومات فيها رجلان ورجل آخر على باب جيرون وتشقق بالجامع مواضع كثيرة وسقط بالبلد عدة دور

وذكر عن بلاد المسلمين ان بانياس سقط بعضها وصفد كذلك ولم يبق بها الا من هلك سوى ولد صاحبها وكذلك تبنين ونابلس لم يبق بها جدار قائم سوى حارة السمرة ويذكر ان القدس سالم والحمد لله

وأما بيت جن فلم يبق منه ولا اساس الجدران الا وقد أتى عليه الخسف وكذلك أكثر بلاد حوران غارت ولم يعرف لبلد منها موضع يقال فيه هذه القرية الفلانية ويقال ان عكة سقط أكثرها وصور ثلثها وعرقة خسف بها وكذلك صافيثا

وأما

www.marefa.org

وأما جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس اليه بين جبلين يجتمع منه الرياش الاخضر فيقال ان الجبلين انطبقا على من بينهما وكانت عدتهم تناهز مائتي رجل وقد اكثر الناس في حديثها

وأقامت بعد ذلك أربعة أيام تحدث في النهار والليل

ونسأل الله لطفه وتدبيره وهو حسبنا ونعم الوكيل (٥)

ومن عجيب ماشاهدناه ان جماعة ممن ينتابني في الطب وصلوا الى كتاب التشريح فكان يعسر أفهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان فأخبرنا ان بالمقس تلا عليه رمم كثيرة نفرجنا اليه فرأينا تلا من رمم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه اقل من الموتى به تحدس ما يظهر منهم للعيان بعشرين ألفا فصاعدا وهم على طبقات في قرب العهد وبعده

فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما افادنا علما لا نستفيده من الكتب اما انها ساكتة عنها أو لا يفي لفظها بالدلالة عليه أو يكون ماشاهدناه مخالفا لما قيل فيها والحس أقوى دليلا من السمع فان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحري والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فان الحس أصدق منه

ثم بعد ذلك يتحيل لقوله مخرج ان أمكن فمن ذلك عظم الفك الاسفل فان الكل قد أطبقوا على انه عظم ان بمفصل وثيق عند الحنك وقولنا الكل انما نعني به هاهنا جالينوس وحده فانه هو الذي باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عينه وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقي لم يخرج الى لسان العرب

والذي شاهدناه من حال هذا العضو انه عظم واحد ليس فيه مفصل ولا درز أصلا واعتبرناه ماشاء الله من المرات في أشخاص كثيرة تزيد على ألفي جمجمة بأصناف من الاعتبارات فلم نجده الا عظما واحدا من كل وجه ثم اننا استعنا بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفي غيبتنا فلم يزيدوا على ماشاهدناه منه وحكيناه وكذلك في أشياء أخر غير هذه ولئن مكنتنا المقادير بالمساعدة وضعنا مقالة في ذلك نحكي فيها ماشاهدناه وما علمناه من كتب جالينوس ثم اني اعتبرت هذا العظم أيضا بعد فن بوصير القديمة المقدم

www.marefa.org

ذكرها فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان ان تظهر وتتفرق وهذا الفلك الاسفل لا يوجد في جميع أحواله الا قطعة واحدة

وأما الجزء العجيب ذكر جالينوس انه مؤلف من ستة أعظم [illegible] واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظما واحدا ثم اني اعتبرته في جثة أخرى فوجدته ستة أعظم كما قال جالينوس وكذلك وجدته في سائر الجثث على ما قال الا في جثتين وهو في الجميع مرتفع المفاصل ولست واثقا بذلك كما أنا واثق باتصال عظم الفلك الاسفل

ثم انا دخلنا مصر فرأينا فيها دورا وأسواقا عظيمة كانت مغتصة بالناس فلما الجميع خال ليس فيه حيوان الا عابر سبيل في الاحايين وان المارة في البستوسق ومع ذلك قلما ينفك قطر منها عن جثة وعظام متفرقة حتى خرجنا الى موضع يعرف بالكرجة فرعون فرأينا الاقطار كلها مغتصة بالجثث والرمم وغلبت على الاكام بحيث جاز ما كانت تغلب على ترابها ورأينا هذه الاسكرجة وهي وهدة عظيمة حين ما أشرفنا عليها الجماجم بيضاء وسوداء ودكاء بعضها على بعض طبقات وقد أخفى كثرتها وتراكمها سائر العظام حتى كأنها رؤس لم يكن معها بدان يشبهها من ينظرها بيطيخ تنبت وجمع حتى صار كالبيدر ثم رأيتها بعد أيام وقد صورتها الشمس رأيتها تشبهها ببيض النعام المتراكم

ولما رأيت خلو تلك الحارات والاسواق من الناس واعتلاء [illegible] والاكام خيل الي انه سفر ارتحل ذا خلاها كانا وشغل آخر هذا مع انه في جزيرة [illegible] صادق فيما حكينا رأيته عانه

ووجد في ذي الحجة بمصر رأس ذبحت صبيا التأكله فأنت وغرقت وهذا رأيت بعد الحال وانقطع خبرها فلم أستطع أن أعرف جنسها ولا هذه المرأة

ومن عجيب الاتفاق في هذه المدة ان مولودا سمي سبع وسبعين ولد برأسين وولد مولود آخر أبيض الشعر ورأيته وليس هو لبياض الشيب بل يميل الى صهوبتها

وولدت

www.marefa.org

وولدت فى هذه السنة بغلة ولدا ميتا وبقى فى دار الوالى أياما كثيرة وفى سنة ثمان وتسعين وجدت سنبلة ذات لبن كان يخرج من حلمتها كأنه خيط دقيق وأحضرت بدار الوالى مرات وآخر ما احضرت وعمرها أربعة أشهر

وأما خبر النيل فى هذه السنة فنحن نسوقه باختصار أما أولا فانه احترق فى طوبه ثم تزايد احتراقه حتى صار مناضات للناس والدواب وظهرت الخضرة فيه فى جمادى الآخرة الكائن فى برمهات وتزايدت جدا فى رجب حتى ظهرت فى لونه وطعمه وريحه ثم تناقصت حتى ذهبت أصلا وانتهى احتراقه فى رمضان وانحسر عن المقياس نحو ثمانى مائة ذراع وطالع ابن أبى الرداد باستقرار الماء يوم الثلاثا الخمس بقين من بؤونه وأربع بقين من رمضان من سنة ثمان وتسعين فكان الماء ذراعا ونصفا وكان فى السنة الخالية ذراعين وابتدأ بالزيادة فى السنة الخالية من هذا اليوم فلما فى هذه السنة فان زيادته تأخرت الى الخامس والعشرين من أبيب لم يزد فى هذه المدة سوى أربع أصابع حتى ساءت ظنون الناس وشملهم اليأس وظنوا ان حادثا وقع بقوهته وعند مبدأ جريته ثم أخذ فى الزيادة حتى انسلخ أبيب وهو على ثلاث أذرع ورقص يومين فاشتد هلع الناس لخروجه فى التوقف عن المعتاد ثم انه اندفع بقوة قوية وزيادات متدار كة وجبال من المياه متدافعة فزاد ثمانى أذرع فى مدة عشرة أيام منها ثلاث أذرع متوالية وانتهى فى رابع توت وهو الثانى عشر من ذى الحجة الى ست عشرة ذراعا تنقص أصبعا وأقام يومين ثم أخذ ينحط متباطيا وينصرف رويدا

فهذا ما قصدت اقتصاصه من أحوال هذه الكائنة فليكن آخر المقالة ومنتهى الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على

سيد المرسلين سيدنا محمد النبى

الامى وعلى آله الطيبين

الطاهرين

م

www.marefa.org